بسم الله الرحمن الرحيم

السنة ٥

صدى البقيع

السنة ٥

صدى البقيع

قِسْمُ الشُّؤُونِ الفِكْرِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ
شُعْبَةُ الفِكْرِ وَالإِبْدَاعِ

العنوان: صدى البقيع
النَّاشر: العتبة العبَّاسية المقدَّسة – قسم الشّؤون الفكرية والثَّقافية.
الإعداد والتَّحرير والمراجعة اللغوية: شعبة الفكر والإبداع – وحدة الإصدارات.
التَّصميم: حسين شمران – ميثم القرعاوي.
الطَّبعة: الأولى.
عدد النّسخ: ١٠٠٠
شهر شوال: ١٤٣٦هـ. تموز ٢٠١٥ م
حقوق النَّشر والتَّوزيع محفوظة للعتبة العبَّاسية المقدَّسة.

المحتويات

هدم قبور أئمّة البقيع عليهم السلام ١١

ماذا نفعل تجاه فاجعة البقيع؟ ١٧

البقيع الفرقد صرخة الحق في عالم الضّلال ٢٣

السّعي نحو الدّفاع عن البقيع الشّريف في المدينة ٣١

متى تعاد للأمة الإسلامية مناراتها؟ ٣٧

لماذا يُلقّب الإمام محمد الباقر عليه السلام بابن الخيرتين ٤٩

الإمام الباقر عليه السلام صانع الظّرف والموقف ٥٣

الإمام الباقر عليه السلام ثنائية المسؤولية تجاه الأمّة والنّظام السّياسي..... ٥٩

الإنسانُ في ثلاثِ كلماتٍ للإمام الباقر عليه السلام..... ٦٣

من أدوار الإمام الباقر عليه السلام ٦٩

اِنَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ اَقْلَقَها الْوَجْدُ ١٠١

زِيارَة اَئمَّة البَقيع عليهم السلام ١٠٥

في البدء

إنّ الأُمَم المتمدِّنة المتحضّرة في العالم تَعمدُ إلى بناء قبور شخصياتها ورموزها؛ ليكونوا مناراً للأجيال على مدِّ العصور والأزمنة، وتحافظ عليها وتحترمها وحتى القبور الوهميّة والمراقد الرّمزيّة باسم الجندي المجهول وغيره.

ولكن مع الأسف الشّديد، فإنّ الفرقة الوهابية هجموا بكلِّ وحشيّة وتهكّم وشراسة على مراقد أهل البيت -عليهم السلام- وذويهم في البقيع الطّاهر، وهدموا قبابهم المقدّسة، وساووا قبورهم الطّاهرة بالأرض، وذلك في اليوم الثّامن من شوّال ١٣٤٤هـ فكأنّهم قد أسفوا على عدم وجودهم مع أسلافهم في السّقيفة أو أسلافهم في كسر ضلع بنت الرّسول -صلى الله عليه وآله-، وريحانته وحرق بيتها-صلوات الله عليها-، وهدمهم ركن الدّين وعمود المؤمنين في قتل أمير المؤمنين -عليه السلام- أو رشق جنازة الإمام الحسن المجتبى-عليه السلام- السبط الأكبر للنبي المصطفى محمد-صلى الله عليه واله وسلم- أو مع أسلافهم الذين سحقوا جسد الحسين الشّهيد -عليه السلام- سبط الرّسول وقرّة عين الزّهراء البتول وأجساد أهل بيته وأنصاره المستشهدين معه بخيولهم.

ولكن إذا لم يدركوا ذلك الزّمان ولم ينالوا من أجساد آل النّبي -صلى الله عليه وآله- الذين أذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، فقد نالوا من مراقدهم الشّريفة وسحقوا قبابها الطّاهرة، محاولين أن يمحوا ذكرهم ويزيلوا حبّهم من قلوب مواليهم وطمس ذكراهم من التاريخ.

ولكن هيهات هيهات أيّها الحاقدون على دين رسول الله -صلى الله عليه وآله- كلمات قالتها البطلة العظيمة والمجاهدة الشّامخة زينب الكبرى بنت علي بن أبي طالب -عليهم السلام- ليزيد بن معاوية **"والله لَن تَمحُوَ ذِكرَنا"** كلمات لازالت أصداؤها تُدَوّي وستظل إلى أن نلقى الله -تعالى- أحكَم الحاكِمين.

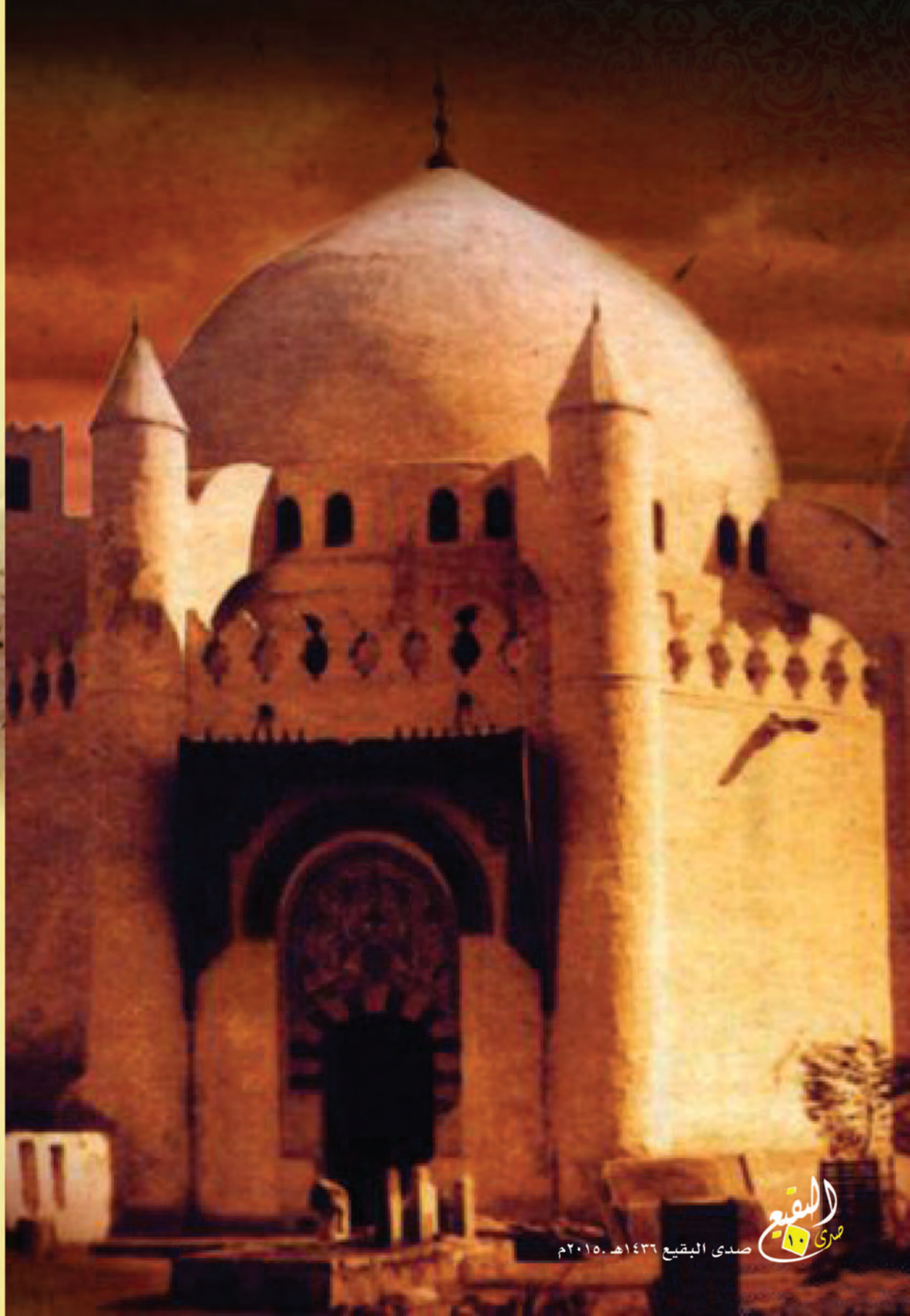

هدم قبور أئمّة البقيع عليهم السلام

الشيخ عقيل البصري
خطيب حسيني

صدى البقيع ١١
صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

بقعة شريفة طاهرة في المدينة المنوّرة قرب المسجد النّبوي الشّريف، ومرقد الرّسول الأعظم-صلى الله عليه وآله-، فيها مراقد الأئمّة الأربعة المعصومين من أهل بيت النّبوّة والرّسالة -عليهم السلام-، وهم: الإمام الحسن المجتبى، والإمام علي زين العابدين، والإمام محمّد الباقر، والإمام جعفر الصادق-عليهم السلام-.

الجريمة النكراء

بعدما استولى حكام الوهابية على مكّة المكرّمة والمدينة المنوّرة وضواحيهما عام ١٣٤٤هـ، بدأوا يفكّرون بوسيلة ودليل لهدم المراقد المقدّسة في البقيع، ومحو آثار أهل البيت- عليهم السلام- والصّحابة.

وخوفاً من غضب المسلمين في الحجاز وفي عامّة البلاد الإسلامية، وتبريراً لعملهم الإجرامي المُضمر في بواطنهم الفاسدة، استفتوا علماء المدينة المنوّرة حول حُرمة البناء على القبور.

فكتبوا استفتاءً ذهب به قاضي قضاة الوهابيين سليمان بن بليهد مستفتياً علماء المدينة، فاجتمع مع العلماء أوّلاً، وتباحث معهم، وبعد ذلك وقّع العلماء على جواب نُوّه عنه في الاستفتاء بحُرمة البناء على القبور؛ تأييداً لرأي الجماعة التي كتبت الاستفتاء.

واستناداً لهذا الجواب اعتبرت الحكومة السّعودية ذلك مبّرراً مشروعاً لهدم قبور الصّحابة والتّابعين، وهي في الحقيقة إهانة لهم، فتسارعت قوى الشّرك والوهابيّة إلى هدم قبور آل الرّسول-صلى الله عليه وآله- في الثّامن من شوّال من نفس السّنة - أي عام ١٣٤٤هـ - فهدّموا قبور الأئمّة الأطهار والصّحابة في البقيع، وسوّوها بالأرض وشوّهوا محاسنها، وتركوها عرضةً لوطئ الأقدام.

ونهبت كلّ ما كان في ذلك الحرم المقدّس، من فرش وهدايا وآثار قيّمة وغيرها، وحَوّلت ذلك المزار المقدّس إلى أرضٍ موحشة مقفرة.

وبعدما انتشر خبر تهديم القبور، استنكره المسلمون في جميع بقاع العالم على أنّه عمل إجرامي يسيء إلى أولياء الله واعتداء صارخ على قدر آل الرّسول -صلى الله عليه وعليهم- وأصحابه.

نشرت جريدة أُمّ القرى بعددها ٦٩ في ١٧ شوّال ١٣٤٤هـ نصّ الاستفتاء وجوابه، وكأنّ الجواب قد أُعدّ تأكيداً على تهديم القبور، وحدّدت تاريخ صدور الفتوى من علماء المدينة بتاريخ ٢٥ شهر رمضان ١٣٤٤هـ، امتصاصاً لنقمة المسلمين، إلّا أنّ الرّأي العام لم يهدأ، لا في داخل الحجاز ولا في العالم الإسلامي، وتوالت صدور التّفنيدات للفتوى ومخالفتها للشريعة الإسلاميّة.

وليت شعري أين كان علماء المدينة المنوّرة عن منع البناء على القبور ووجوب هدمه قبل هذا التاريخ؟! ولماذا كانوا ساكتين عن البناء طيلة هذه القرون من صدر الإسلام، وما قبل الإسلام وإلى يومنا هذا؟!

ألم تكن قبور الشّهداء والصّحابة مبنيّ عليها؟ ألم تكن هذه الأماكن مزارات تاريخية موثّقة لأصحابها؟ مثل مكان: مولد النّبي -صلى الله عليه وآله-، ومولد السّيّدة فاطمة -عليها السلام-، وقبر السّيّدة حوّاء -عليها السلام- أُمّ البشر والقبّة التي عليه، أين قبر حوّاء اليوم؟ ألم يكن وجوده تحفة نادرة يدلّ على موضع موت أوّل امرأة في البشرية؟ أين مسجد حمزة -عليه السلام- في المدينة ومزاره الذي كان؟ أين وأين... .

القرآن وبناء القبور

لو تتبّعنا القرآن الكريم ـ كمسلمين ـ لرأينا أنّ القرآن الكريم يعظّم المؤمنين ويكرّمهم بالبناء على قبورهم ـ حيث كان هذا الأمر شائعاً بين الأُمم التي سبقت ظهور الإسلام ـ فيحدّثنا القرآن الكريم عن أهل الكهف حينما اكتُشف أمرهم ـ بعد ثلاثمائة وتسع سنين ـ بعد انتشار التّوحيد وتغلّبه على الكفر نرى المؤمنين ـ الذين انتصرت إرادتهم فيما بعد ـ يدعون إلى بناء مسجد على الكهف، بجوار قبور أُولئك الذين رفضوا عبادة غير الله -تعالى-؛ كي يكون مركزاً لعبادة الله -تعالى-.

فلو كان بناء المسجد على قبور الصّالحين أو بجوارها علامة على الشّرك، فلماذا صدر هذا الاقتراح من المؤمنين؟! ولماذا ذكر القرآن الكريم اقتراحهم دون نقد أو ردّ؟!

أليس ذلك دليلاً على الجواز، **(قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً)** (١).

فهذا تقرير من القرآن الكريم على صحّة هذا الاقتراح ـ بناء المسجد ـ ومن الثابت أنّ تقرير القرآن حجّة شرعية.

إنّ هذا يدلّ على أنّ سيرة المؤمنين الموحّدين في العالم كلّه كانت جارية على البناء على القبور، وكان يُعتبر عندهم نوعاً من التّقدير لصاحب القبر، وتبرّكاً به لما له من منزلة عظيمة عند الله -تعالى-، ولذلك بني المسجد وأصبحت قبور أصحاب الكهف مركزاً للتعظيم والاحترام.

ولا زالت هذه الحالة موجودة حتّى في وقتنا الحاضر لقبور العظماء والملوك والخالدين، فهل توجد أخلد وأطهر من ذرّية رسول الله -صلى الله عليه وآله- الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرّهم تطهيراً؟

البقيع في الشّعر

لقد نظم كثير من الشّعراء هذه الجريمة النّكراء، **منهم العلّامة السيّد صدر الدّين الصدر(قدس سره):**

لعمري إنّ فاجعة البقيع ... يُشيبُ لهولها فؤاد الرّضيع
وسوف تكون فاتحة الرّزايا ... إذا لم يُصحَ من هذا الهجوع
أما من مسلمٍ لله يرعى ... حقوق نبيّه الهادي الشّفيع(٢).

وقال شاعر آخر:

تبّاً لأحفاد اليهود بما جَنوا ... لم يكسبوا من ذاك إلّا العارا
هتكوا حريم محمّد في آله ... يا ويلهم قد خالفوا الجبّارا
هَدَموا قبور الصّالحين بحقدهم ... بُعداً لهم قد أغضبوا المختارا(٣) .

وقال شاعر آخر:

لمن القبور الدّارسات بطيبة ... عفت لها أهل الشّقا آثارا
قُل للّذي أفتى بهدم قبورهم ... أن سوف تصلى في القيامة نارا
أعَلِمتَ أيّ مراقد هدمتها ... هي للملائك لا تزال مزارا (٤) .

وقال الشيخ عبد الكريم الممتن مؤرّخاً هدم قبور أئمّة البقيع:

لعمرك ما شاقني ربرب ... طفقت لتذكاره أنحب
ولا سحّ من مقلتي العقيق ... على جيرة فيه قد طنبوا
ولكن شجاني وفتّ الحشا ... أعاجيب دهر بنا يلعب
وحسبك من ذاك هدم القباب ... فذلك عن جوره يعرب
قباب برغم العلى هُدمت ... وهيهات ثاراتها تذهب
إلى مَ معاشر أهل الإبا ... يصول على الأسد الثعلب
لئن صعب الأمر في دركها ... فترك الطلّاب بها أصعب
أليس كما قال تاريخه ... بتهديمها انهدم المذهب(٥).

الهوامش:

١. سورة الكهف: ٢١.
٢. بحوث في الملل والنحل ١/ ٣٣٩.
٣. المذاهب الإسلامية ـ الوهابية.
٤. ليالي بيشاور ـ المجلس الثالث.
٥. مستدركات أعيان الشّيعة ٢/ ١٦١.

ماذا نفعل تجاه فاجعة البقيع؟

صباح الصافي/ باحث إسلامي

البقيع صدى ١٧
صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

لم يكتفِ أعداء أهل البيت بمحاولتهم إطفاء نور الله-تعالى- بقتل أنواره -صلوات الله عليهم- وخلفاء رسوله الأعظم محمد -صلى الله عليه وآله-، أو بقتل من يتحدّث بفضيلة من فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- أو بتحريفهم لسنّة رسول الله -صلى الله عليه وآله- أو بهدم قبر الإمام الحسين -عليه السلام- عدة مرّات، فبعد أن رأوا هذا النّور يزداد توهّجاً بالرّغم مما بذلوا من جهد للقضاء عليه اتخذوا طريقة أخرى للقضاء على هذا النّور بتهديمهم لقبور مصابيح الدّجى وأئمّة الهداية الموجودة في البقيع.

ولم تكن ظلامة الأئمة -عليهم السلام- المدفونين في البقيع في حياتهم فقط، وإنّما مستمرّة الى وقتنا الحاضر، من خلال هدم قبورهم وحرمان شيعتهم من زيارتهم وهو ظلم واضح جلي.

وهناك أسباب كثيرة جعلتهم يقومون بالجريمة النّكراء لتهديم القبور المطهّرة لأئمّة البقيع نذكر أهمّها:-

١- القضاء على الإسلام .

لذلك عمدوا إلى تدمير كلِّ أثر يدل على حضارة الإسلام، وهدموا ذلك الأثر تمهيداً للقضاء على المؤثّر؛ لأنّك إن قضيت على مدلول الشّيء تكون مهّدت للقضاء على الشّيء نفسه، وها هم يهدّمون آثار الإسلام، وقبور عظماء المسلمين؛ لأنّها دالّة على وجود الإسلام.

٢- العداء لأهل البيت -عليهم السلام-.

وهذا واضح جلي؛ لأنّه متوارث عندهم، مع العلم أنَّ الذي أفتى بهدم القبور اعتمد بفتواه على ابن تيميّة المعروف بحسده للرسول الأعظم محمد وآله الطاهرين-صلوات الله عليهم-.

٣- القضاء على ذكر أهل البيت -عليهم السلام-.

من الأمور التي تكشف عن قيمة الشّخص وما له من أهمّيّة عند الله-تبارك وتعالى- أو في المجتمع، هو تقديس النّاس واحترامهم له بسبب صلاح سيرته وتقواه، وخير دليل

على هذا، القصّة التي حصلت مع الإمام السّجاد -عليه السلام- كما جاء في الرّواية: إنّ هشاماً بن عبد الملك عندما توجّه بخدمه وحرّاسه لحجّ بيت الله الحرام أراد الوصول إلى الحجر الأسود فلم يستطع بسبب زخم الحجاج، فجلس في مكان حتى يخف الزّخم، واذا بالإمام السّجّاد-صلوات الله عليه- يتوجّه نحو الحجر الأسود فانفرج له الحجّاج سماطين، وأخذوا يتبرّكون به حتى وصل فلمّا رآه أحد الجالسين، فقال لهشام من هذا فأنكره!! (قال: لا أعرف!) فوقف الفرزدق معرِّفاً الإمام بقصيدته الرّائعة، التي جاء منها:

هذا الذي تُعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

ومن جملة الطّرق التي يتّخذها النّاس لتقديس عظمائهم هي تخليد آثارهم وبناء قبورهم، فوجود قبور العظماء أو الآثار دلالة على مكانة أصحاب تلك القبور، وبما أنَّ مكّة والمدينة تأتيها الحجاج من كلِّ بقاع العالم وقبور البقيع مشيدة، فإنّها ستثير التّساؤل عن أصحاب تلك القباب، وتلفت النّظر إليهم، وكيف حصلوا على هذه المكانة، ممّا يؤدّي لانحياز ذوي العقول إلى مذهبهم؛ لأنّ الجواب سيأتي كجواب الفرزدق لهشام.

٤- الحسد

لا يتحمّل الحاسد أن يرى النّعمة بادية على أخيه المؤمن أو المسلم بل يسعى وبكلِّ الطّرق إلى إزالة هذه النّعمة، فلذلك أمر الله -عزَّ وجل- بالاستعاذة منه **(وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)**(١)، وبعض آيات القرآن الكريم تحدّثت عن جرائم القتل التي كان الباعث لها الحسد، كحسد قابيل لأخيه هابيل، وحسد أخوة نبي الله يوسف ليوسف -عليه السلام-، ومن قتل أهل البيت -عليهم السلام- لم يكن الدّافع إلّا الحسد لهم، قال الإمام الباقر -عليه السلام- في تفسير قوله -تعالى-: **(أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)**(٢): **(نحن المحسودون)**(٣)، نعم وهؤلاء هدموا قبور الأئمة حسداً؛ لأنّهم وجدو أهل البيت -عليهم السلام- وذريتهم امتازوا في الدّنيا بتلك الأضرحة والقباب الشّامخة والدّالّة على شرفهم ومكانتهم عند الله -عزَّ وجل- في الدّنيا والآخرة، في الوقت الذي ذهب فيه الحاسدون وأئمّتهم إلى مزبلة التاريخ.

وها قد مرّ علينا أكثر من تسعين سنة من تاريخ الجريمة النّكراء، دون أن يُعاد الاعتبار لحرم الأئمة -عليهم السلام- في البقيع الغرقد، فيُعاد كما كان حرماً نورانيّاً شريفاً عظيم البناء يرتاده المسلمون لزيارة أبناء نبيهم -صلوات الله عليهم- والابتهال إلى الله-سبحانه- تحت قبابهم ودعائه بحقّهم ومنزلتهم عنده.

فاليوم آن أوان أن يسلك الأوفياء المخلصون الباقون على عهد الولاية لآل محمد -عليهم السلام- مسلكاً آخر في التّعامل مع هذه القضية التي تحلّ في رأس قائمة الأولويات الإسلامية في عصرنا هذا، ومن هنا لا بد من القيام بالتالي:

(١) اعتبار يوم الثّامن من شوال مناسبة مصيبة دينية لا تقل أهمّيتها عن مصيبة العاشر من محرم أو الثّامن والعشرين من صفر أو الأيّام العلوية أو الفاطمية، فيتشح فيها المؤمنون بالسّواد، ويتوجهون إلى مجالس العزاء، ويطبعون الكتب والنّشرات، وينصبون اللافتات، ويقيمون النّدوات والمؤتمرات، وما إلى ذلك من وسائل لإحياء هذه المناسبة كلّ عام بحيث يشعر بها العالم كلّه ويعرف ماهيّة قضيتنا العادلة.

(٢) تنظيم وتسيير المظاهرات الجماهيرية الاحتجاجية العظمى أمام سفارات النّظام السّعودي في مختلف بقاع العالم، والهتاف عالياً بشعارات الولاء لأهل البيت -عليهم السلام- والثأر لهم ممن قتلهم وانتهك حرماتهم ودمّر آثارهم، حتى تكون لهجة القوّة والتّحدّي للزمرة الوهابيّة الإجراميّة وحماتها من الحكام، وليعرفوا أنّنا لن نتساهل بعد اليوم في هذه القضية.

(٣) القيام بتحرّك فاعل من أجل تصعيد القضية بمختلف الوسائل، فتُصدر البيانات من كل جهة شيعية، وتُكتب المقالات في الصّحف من كلّ قلم شيعي، وتُخصص البرامج التّلفزيونيّة والإذاعية حول المناسبة من كلّ وسيلة إعلامية شيعية، وتُرسل الرّسائل الاحتجاجية المليونية إلى مختلف المنظمات الدّولية من كلّ فرد مكلّف شيعي، بل من كل نسمة شيعية.

(٤) شحذ الهمم، وتشمير السّواعد لخرق الحواجز الموضوعة التي تمنع وصول الجماهير المؤمنة إلى ضريح النّبي الأكرم -صلى الله عليه وآله- وإلى قبور الأئمة الأطهار -عليهم

السلام- في البقيع، وذلك عبر الاحتشاد في مواسم الحج والعمرة أو في غيرها، والاندفاع سلميّاً نحو تلك المواضع المقدّسة بكثافة جماهيريّة، فإنّ ذلك لو استمرّ منّا فسيهتز هذا النّظام النّاصبي كثيراً ولن يقدر على تحدّي إرادة الجماهير، وسيرضخ عاجلاً أم آجلاً لمطالبنا، سيما مع اشتداد الضّغط الدّولي عليه في الخارج.

(٥) التّوجّه إلى الله -سبحانه وتعالى- بالدّعاء المتواصل والمستمر لأن يعجّل فرج إمام زماننا المهدي المفدى -صلوات الله عليه وأرواحنا فداء تراب نعليه- وأن يوفّقنا لأن نكون من شيعته الممهّدين لظهوره، وأن يجعل على يدنا إعادة بناء مراقد آبائه الطّاهرين -عليهم الصلاة والسلام-، فإنّ الشّرف كلّ الشّرف أن يتحدّث العالم غداً عن أنّ هذا الإنجاز قد تحقّق على يد شيعة هذه المرحلة الزّمنيّة، وسيكون ذلك مفخرة لنا عند أبنائنا وأجيالنا اللّاحقة، كما نفخر نحن اليوم بما صنعه آباؤنا وأجدادنا من الشّيعة الأبرار في الدّفاع عن ساداتنا الأئمة الأطهار -عليهم الصّلاة والسلام-. كما ينبغي للمؤمنين أن يكثروا من الدّعاء على الظّالمين النّواصب، حتى يهلكهم الله-تعالى- كما أهلك فرعون ونمرود وكلَّ الطّغاة -عليهم لعائن الله-. وكذلك ينبغي أن يستمر الابتهال إلى الله أن يوفّق العاملين لهداية المضلَّلين إلى نور ولاية أهل البيت -عليهم السلام-، وأن يزيح عنهم الغشاوة التي ضربتها عليهم يد الإجرام النّاصبي الوهابي، وأن يزيد الله ويبارك في هذا المد الشّيعي يوماً بعد يوم في أرجاء المعمورة، حتى تعود الحجاز وجزيرة العرب إلى التّوحيد والإسلام النّقي وتتطهر من الكفر والشّرك والضّلال كما طهّرها رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

الهوامش:

١. سورة الفلق/ ٥.

٢. سورة النّساء: ٥٤.

٣. بحار الأنوار / ج ٢٣ / ص٢٨٦.

البقيع الفرقد صرخة الحق في عالم الضّلال

حيدر فائق الهنداوي/ صحفي

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

الأرض ذرات وتراب وأملاح مختلفة، وعناصر أخرى مؤلّفة بشكل من الأشكال، وذلك بسبب عامل أو عدّة عوامل من العوامل الطّبيعيّة من رياح وأمطار وحرارة ورطوبة وما أشبه.

والأرض ـ بذاتها ـ قد لا تكون لها قدسيّة خاصّة، إلاّ أنّها إذا قدّسها الله -تبارك وتعالى- خالقها تصبح مقدّسة ومتميّزة، وعلى المخلوقات تقديسها وتبجيلها لما أمر به -عزّ وجل-، قال -تعالى-: (**يَامُوسَى، إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً**) (١)

فقدسيّة الوادي لا تكون لترابه وصخوره وأشجاره، بل للتوجيه الإلهي والعناية الرّبّانية إلى تلك البقعة المقدّسة..

وكذلك مسألة البركة والنّماء والرّوحانيات المتواجدة في أيّة أرض أو أيّ مكان على وجهها كبيت المقدس (**الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ**)(٢)، ومكّة المكرّمة (**مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْناً**)(٣)، والمدينة المنوّرة التي طاب هواؤها وأرضها وماؤها بفضل دعاء الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- لها فصار اسمها «طيبة» وهكذا.. فالقدسيّة من الله وامتثالاً لأمر الله -عزّ وجل-.

وقد تتقدّس أرض بقدسيّة من قُتل على ترابها أو دفن فيها، وهذا أمر واضح وبديهي عند كلّ المبادئ والشّعوب، فالقبور لها حرمتها وخاصّة عند ذويها.

فعندما نقول كربلاء المقدّسة، أو النّجف الأشرف أو البقيع الغرقد.. فإنّ الأمر بقداسة تلك البقاع واضح وضوح الشّمس في رابعة النّهار.

فعلى تراب كربلاء سُفكت دماء سيّد الشّهداء وسيّد شباب أهل الجنّة -عليه السلام- وأبنائه وإخوته وأصحابه الميامين -عليهم السلام- وشرب ذاك التّراب تلك الدّماء الزّاكية، وارتوى بدمائهم الطّاهرة فطهر، واكتنز وحوى أجسامهم الشّريفة فتشرّف.

وكذلك النّجف الأشرف الذي حوى جسد عظيم الإنسانيّة بل أعظم من وطأ الثّرى بعد النّبي -صلى الله عليه وآله- ذاك أمير المؤمنين وإمام الثّقلين وأبو الحسنين الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام- ألا يحق لها أن تصبح رمزاً للهداية والنّور..؟

وهذا وذاك حال تراب أو تربة حوت واحداً من أئمة أهل البيت -عليهم السلام-، فما رأيك بتربة تشرّفت بعدَّة من أهل البيت -عليهم السلام- وخواصّهم الكرام من الهاشميين والعلويين وأقرب المقرّبين للرسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- بالإضافة إلى أبنائه الأطهار وزوجاته المؤمنات وبعض الصّحابة الكبار -عليهم السلام-.

تلك البقعة التي ارتبطت منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة بالنبي -صلى الله عليه وآله- وأهل بيته -عليهم السلام- وحوت من الأجساد الطّاهرة ما لم تحوه أيّة بقعة على وجه الأرض أبداً.

فكانوا ولأكثر من ألف سنة ملاذاً لأصحاب الحاجات، ومزاراً للمؤمنين ومهبطاً للقلوب النّقيّة الصّافية، وذلك عبر الأجيال ورغم كلِّ المحاولات الآثمة لإبعادها من السّاحة الإسلامية والقدسية الرّوحانية.. إلّا أنّها بقيت وستبقى بحول الله وقوّته كما كانت، بل سيزداد تألّقها وبريقها ولمعانها في الدّنيا كلَّ الدّنيا إن شاء الله-تعالى-.

تلك هي «البقيع الغرقد» التي عملت أيادي الاستعمار من أجل إبعاد المسلمين عنها بعد أن هُدمت القباب والأضرحة المباركة التي بنيت على تلك القبور التي حوت ذاك الطّهر كلّه.

إنَّ الشّعوب السّامية هي التي تعتز بمقدّساتها؛ لأنّ المقدّسات هي رمز تاريخها المُشرق، وهي المكان الذي يجمع قلوب الأمّة جميعاً، وقد حاول الاستعمار أن يمحو من ذاكرة المسلمين مقدّساتهم؛ وذلك؛ لأنّه أراد تمزيق الأمّة وتبديد أوصالها حتى تصبح لقمة سائغة يسهل عليه اقتناصها.

ولذلك فقد أراد المستعمرون من خلال بعض أتباعهم أن يحطّموا كلَّ ما من شأنه أن يوحّد المسلمين ويجمع كلمتهم، فعمدوا إلى المقدّسات الإسلاميّة في الحجاز وهدموها فأصبحت أطلالاً بعد أن كانت مناراً لكلِّ مسلمي العالم، وأهمّها البقيع الغرقد والذي ضمّ أربعة من أئمّتنا المعصومين -عليهم السلام- وكثيراً من الصّحابة الأجلّاء وزوجات النّبي -صلى الله عليه وآله- وعمّاته وغيرهم.

فغدت تلك القباب المنيرة ركاماً وأحجاراً متناثرة فوق تراب البقيع.. وقد مُنع الزوار

من الاقتراب منه.

إذن فمسألة البقيع الغرقد من الأهمّيّة بمكان بحيث عُدّت من أكبر جرائم العصر وقد وضع مقترفوها في سبيل تبرير جريمتهم شبهات كثيرة قام الكثير من العلماء والمفكّرين بردّها وتبيان زيفها، كما وتوجد بعض النّقاط المهمّة المتوجب على الناس قاطبة معرفتها والاطلاع عليها فهي تكشف زيف ادّعاءات القوم ونواياهم غير الصّالحة.

لقد جرت عادة المؤمنين ببناء قبور أولياء الله -تعالى- تكريماً لهم، وتعظيماً لحرمتهم، وليكونوا خالدين في ذاكرة الأمم، فتقتدي الأجيال النّاشئة بهديهم، وتسير بنهجهم، وخير دليل على ذلك هو قوله -تعالى- في كتابه الذي فيه تبيان لكل شيء، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه في قصّة أولياء الله العظام أصحاب الكهف، الذين وقفوا بوجه الملك الحاكم، وأَبَوا إلّا عبادة الله الواحد، فقال -تعالى-:

(وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَرَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَاناً رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِداً)(٤).

وقد كان رأي غير الموحّدين هو أن ابنوا عليهم بنياناً، أمّا رأي المؤمنين فكان أن يبنوا عليهم مسجداً، ومن الواضح أنّ القرآن الكريم إذا ذكر عمل قوم لا يرضى به يستنكره، وهذا ما هو موجود في القرآن الكريم مثلا عندما ذكر السّامري وقصّة اتخاذهم العجل قال:

(إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ)(٥).

لكن نجد أنّ القرآن الكريم لم يذم، ولم يستنكر مقترح المؤمنين في قضيّة أصحاب الكهف، بل وصفه (مسجداً).

ومن الواضح أنّهم خالفوا بذلك كتاب الله الكريم الذي فيه تبيان لكلِّ شيء، وإلا فلعمرك ماذا يعني هدم قبور أهل البيت -عليهم السلام- ؟! ماعدا قبر النّبي -صلى الله عليه وآله-؟! أليس هذا تناقض؟!

وليس بعجيب فهم هدموا قبور أهل البيت -عليهم السلام- إذ أنّهم يعلمون جيّداً أنّ هذا العمل الشّنيع سيغضب المسلمين ولاسيّما شيعة أهل البيت -عليهم السلام-، لكنهم فشلوا في تهديم قبر الرّسول -صلى الله عليه وآله- إذ أنّهم يعلمون أنّ هذا العمل الإجرامي سيغضب عليهم كلَّ عدو وصديق، ومع ذلك فقد ذكرت بعض المصادر إفتاء بعض علمائهم الذين لا همَّ لهم سوى رضا اليهود بتهديم قبّة النّبي الأعظم -صلى الله عليه وعلى آله-!!

فمن الواضح أنّ هدفهم هو تهديم كلّ شيء يرمز للإسلام وللحضارة الإسلامية بل للإنسانية أجمع، والتّلاعب بمقدّرات المسلمين وخيراتهم، وثرواتهم باسم الإسلام والإسلام يلعنهم، فسفكوا الدّماء، واستهتروا بأعراض المسلمين باسم الإسلام، وشوّهوا سمعته الطّيّبة، وأرادوا أن يوصلوا رسالة للغرب أنّ دين الإسلام هو دين الدّماء!!

ولمّا كانت قبور أهل البيت -عليهم السلام- تمثّل النّور السّاطع، الذي يأخذ بأبصار النّاظرين، وببصائر الأحرار في الحياة، ولما تُمثله من استقطاب الملايين من المسلمين ولاسيّما شيعة أهل البيت -عليهم السلام-، وبسبب الخوف والهلع من قبل الزّمرة اليهوديّة الحاكمة على مستقبل الحكم في تلك البلاد، وما تتطلّبه مصلحة تلك الأسرة الحاكمة، وما يضمن تأمين مستقبل الحركة الوهابية النّاصبيّة، وبفتوى من وعّاظ عرشها، قامت تلك الأيادي الحاقدة بتهديم قبور أرض البقيع، بما فيها قبور أربعة أئمة من أهل البيت -عليهم السلام-، وهم: الإمام الحسن بن الإمام علي بن أبي طالب، والإمام علي بن الإمام الحسين، والإمام محمد الباقر بن الإمام علي السّجاد، والإمام جعفر بن الإمام محمد الباقر _صلوات الله عليهم أجمعين_.

إنَّ البقيع يمثّل جانباً من مظلوميّة العترة الطّاهرة-عليهم السلام- بل هو صرخة الدّهر بوجه الظّالمين فلا عجب عندما تقف أمام تلك البقعة الطّاهرة وتتأمّل في موقها الجغرافي لابُد وأنّك ستغوص في أعماق التّأريخ لتتذكّر وقائع ألّمت بأهل البيت -سلام الله عليهم- لاسيما الصّدّيقة الكبرى فاطمة الزّهراء -عليها السلام- ومظلوميتها وغصب

حقّها، كذلك الإمام الحسن المجتبى -سلام الله عليه- فعندما تذكره فلا شكّ ستتراءى لك واقعة الدّفن وما صاحبها من أحداث. وبالتّأكيد سوف ينتقل ذهنك تلقائيّاً وأنت تقف أمام ضريح الإمام السّجاد زين العابدين -عليه السلام- إلى واقعة الطّف الأليمة فالحقبة الزّمنية بعد الإمام الحسن -عليه السلام- كان يدور فلكها حول سيّد الشّهداء -عليه السلام- إلّا أنّك لا تجد له قبراً في البقيع وكأنّ البقيع يناشدكَ بها ويستفهمك عنها وبخاصة وأنّ حلقاته بعد الإمام السّجاد متناسبة ومتّصلة فالإمام الباقر-عليه السلام- ثم الصّادق -عليه السلام- حتى إذا ما وقفت عنده للزيارة تراءت لك تلك القصّة الحزينة التي عاشها الإمام الكاظم -عليه السلام- وإبعاده عن المدينة المنوّرة الى بغداد حيث استشهاده -سلام الله عليه-.

إذن فبقيع الغرقد هو التّأريخ النّاطق، والمرآة النّاصعة للتأريخ الإسلامي، وتدرّج حقيقي للحضارة الإسلامية.

الهوامش:

١- سورة طه/ الآية: ١١-١٢ .

٢- سورة الإسراء/ الآية: ١ .

٣- سورة البقرة/ الآية: ١٢٥ .

٤- سورة الكهف/ الآية: ٢١ .

٥- الأعراف/ الآية: ١٥٢ .

السّعي نحو الدّفاع عن البقيع الشّريف

فاطمة كامل المسعودي
باحثة إسلامية

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

في اليوم - الثّامن من شوال لسنة ١٣٤٤ من الهجرة النّبوية الشّريفة- امتدّت يد الإجرام الوهابية السّعودية إلى الأضرحة المقدّسة في البقيع الغرقد للأئمة الطّاهرين والخلفاء الشّرعيين من آل محمد -صلوات الله عليهم أجمعين-، فقام الوهابيّون النّواصب برعاية من حكامهم بهدم تلك المراقد الطّاهرة وتسويتها بالأرض استكمالاً لجرائم السّالفين، إذ أسف هؤلاء على فوات فرصة مشاركتهم في قتل آل محمد -عليهم السلام- فتتبّعوهم في قبورهم ليهدموها ويزيلوا آثارها!.

وكانت ذريعتهم الكاذبة - ولا تزال - فيما أقدموا عليه أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- حرّم البناء على قبور الأولياء لئلا يتخذهم المسلمون أرباباً من دون الله -تعالى- ولئلا يشركوا معه أحداً من خلقه! سبحان الله! بل هو الكذب على رسول الله والتّجرّؤ على شرع الله-تعالى-، والمسلمون يعرفون كيف لا يعبدون سوى بارئهم وخالقهم، كما يلتزمون بما أمرهم الله -سبحانه- من التّوجّه إليه عبر وسيلته حيث قال -عز من قائل- : **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** (١)، وإنّ الوسيلة هم آل محمد بنص رسول الله -صلى الله عليه وآله-.

وعلماء شيعة آل محمد طالما أثبتوا لهؤلاء النّاصبة أنّ تعظيم مراقد أئمة الإسلام والصّالحين إنّما هو تعظيم لشعائر الله -تبارك وتعالى-، وأنّه لا محذور شرعياً فيه، بل هو مستحب، إلّا أنّ هؤلاء استشرى فيهم الحقد البكري الأموي على محمد وأهل بيته -عليهم السلام- فاستمرّوا في غيّهم وجريمتهم إلى يومنا هذا، غير عابئين بمشاعر المسلمين كافّة في أقطار الأرض!

فليأتوا بشهدائهم على أنّ الله -تعالى- حرّم بناء مراقد أوليائه.. إنّما هي أهواء الذين لا يؤمنون بالكتاب، ولا يؤمنون بما ينتظرهم من عذاب الآخرة.. وهم بربّهم يعدلون!

ألا وإنّهم هم الذين ارتكبوا الحرام بفعلهم هذا!

ألا وإنّهم هم الذين كفروا بفعلهم هذا!

ألا وإنّهم هم الذين أشركوا بفعلهم هذا!

لقد أصبح معلوماً للجميع اليوم أنَّ كلَّ المحاولات التّفاوضية التي بُذلت من أجل

إعادة بناء المراقد المقدّسة لأئمتنا الأربعة -عليهم السلام- في البقيع قد باءت بلا نتيجة، حيث بقت حكومة آل سعود على تعنّتها ووقاحتها. ورغم سعيها اليوم إلى تقليم أظافر من ربّتهم من الوهابيين بعدما انقلبوا عليها؛ إلا أنّها ظلّت وفية وعلى عهدها في مناصبة العداء لآل محمد والبقاء على سيرة الأشياخ من آل حرب وأمية وأبي سفيان..

إنّ الواجب الشّرعي المؤكّد هو نصرة حجج الله المطهّرين -عليهم السلام- بأيّة وسيلة مشروعة كانت، وهذه النّصرة لا تنحصر بحياتهم الشّريفة فحسب بل تشمل نصرتهم بعد مماتهم بإحياء معالمهم المقدّسة وبثّ أحكامهم وعقائدهم وسُنَنِهم، كما تشمل تجديد بناء قبورهم وتفخيمها وتعظيمها ودفع الأذى عنها كالانتقاص منها كما فعل الوهابيون -عليهم اللّعنة- بتهديمها إبان نشوء دولتهم الجائرة، ومنع الزوار عنها مع ما موجود من روايات تحث على زيارتهم -صلوات الله عليهم-، فقد روي عن مولانا الإمام أبي جعفر -عليه السلام- قال: **" إبدؤا بمكة واختموا بنا"**(٢).

وعنه صلوات الله عليه قال : **" إنّما آمر الناس أن يأتوا هذه الأحجار، فيطوفوا بها، ثم يأتونا فيخبرونا بولايتهم ويعرضوا علينا نصرهم"**(٣).

وعن الإمام أبي عبد الله -عليه السلام-: **" من زار إماماً مفترض الطاعة بعد وفاته وصلى عنده أربع ركعات كتبت له حجة وعمرة "**(٤).

وعن الإمام الرضا -صلوات الله عليه-: **" إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا بما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاءهم يوم القيامة"**(٥).

ومفاد هذه الأخبار الشّريفة وجوب زيارتهم وتعظيمهم وعرض النّصرة عليهم لا سيما عرض النّصرة على إمامنا المعظم صاحب الأمر -عجل الله تعالى فرجه الشّريف-، ولا فرق في عرض النّصرة بين أن تكون على الأحياء منهم والأموات، إذ أنّ الموت لا يلغي حياتهم الشّهودية باعتبارهم الشّهداء على الخلق، والشّهداء أحياء عند ربهم يرزقون، بل تتأكد نصرة الأموات منهم لما في ذلك تعظيم تعاليمهم وذواتهم التي لا يبليها التّراب، ومن النّصرة أن يسعى الزّوار إلى تجديد بناء قبورهم... وتفعيل ذلك بالاستنكار بأيّة

وسيلة كانت..!

الهوامش:

١. سورة المائدة: ٣٥ .

٢. بحار الأنوار / ج ٩٦ / ص ٣٧٣ .

٣. المصدر نفسه / ج ١١٠ / ص ٣٥٦ .

٤. المصدر نفسه / ج ٩٧ / ص ١٣٠ .

٥. المصدر نفسه / ج ٩٧ / ص ١١٦ .

ذكرى هدم البقيع

الصمد الفرد

متى تعاد للأمة الإسلامية مناراتها؟

محمد يوسف/ صحفي

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

لقد كان المسلمون منذ قرون طويلة، طوال سنتهم، وبعد إنهائهم من فريضة الحج، يعرجون على مدينة الرسول -صلى الله عليه وآله-، لزيارة قبره الشّريف، وزيارة قبور أهل بيته -عليهم السلام- الذين طهّرهم الله تطهيراً، المستقرة قبورهم في روضة البقيع، حيث حوت تلك الرّوضة الشّريفة الإمام الحسن بن علي، والإمام علي زين العابدين، والإمام محمد الباقر، والإمام جعفر الصّادق -صلوات الله عليهم أجمعين-، إضافة إلى ما يقارب عشرة آلاف من الصحابة -رضوان الله عليهم- .

وقد كان المسلمون يتسابقون على زيارة تلك القبور الشّريفة والأضرحة المباركة، لما حوته من شخصيّات طاهرة مطهّرة، من أهل بيت النّبوّة ومعدن الرّسالة، الذين خصّهم الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بآية التّطهير (**إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا**) وغالباً ما كانوا يجلبون الهدايا والنّذور معهم. وقد كانت تلك الأضرحة الشريفة محط رحال المسلمين ولم تزل كذلك، حيث ترى الألوف المؤلّفة من المسلمين صافّين حول قبر النّبي -صلى الله عليه وآله- وقبور أهل بيته -عليهم السلام- وذلك حبّاً وتعظيماً للرسول وأهل بيته الكرام، وتعظيمهم تعظيم للإسلام وتعاليمه.

ولكن وبعد احتلال الوهابيين لمدينة الرّسول، يأتي يوم الثّامن من شوّال من سنة ١٣٤٤ هجرية، وتطال يد الغدر والإثم تلك القبور الشّريفة والقباب البيضاء، وتحوّل تلك الرّوضة في ثلاثة أيام سود حالكة ظالمة من أيّام الغدر والبطش والجور على آل الرّسول، تحوّلها إلى أرض صفراء جرداء!

نعم، يأبى أعداء الله والرّسول وأهل بيته، من أن تبقى تلك القباب البيضاء النّاصعة، وتلك المشاهد والدّور والقبور المشرّفة، رمزاً خالداً للمسلمين، ومن أن تبقى تلك المعالم الإسلامية صرحاً شامخاً يُشم منه عبق النّبوة وريح التاريخ وغبار المجد والتّغيير والثّورة على الجهل والباطل، ويأبى هؤلاء إلا أن يطمسوا هذه المفاخر والمنائر الإسلامية المحمدية، لا لشيء سوى البغض لعلي -عليه السلام- واتباع سنّة إمامهم معاوية بن أبي سفيان وابن آكلة الأكباد عليهم -لعنة الله-، الذي جعل من سبّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام- سنّة فوق المنابر.

أجل، فبعد احتلال الوهابيين للمدينة المنورة في عام ١٣٤٤هـ، استفتى شيوخهم علماء المدينة حول وجوب هدم القبور، وقد صدرت الفتوى بوجوب الهدم، وبعدما صدرت تلك الفتوى من خمسة عشر عالماً من علماء المدينة، وانتشرت في الحجاز بدأت السّلطات الوهابية بهدم قبور آل الرسول -صلى الله عليه وآله- في الثامن من شوال من نفس العام، وقضت على آثار أهل البيت -عليهم السلام-، والصحابة، ونهبت كل ما كان في ذلك الحرم المقدّس من فُرش غالية وهدايا ثمينة وغيرها، وحولت تلك الزّمرة الوحشية البقيع المقدّس إلى أرض قفراء موحشة.

إنّ هذا العدوان السافر على آل الرسول -عليهم السلام-، ليس خطأً وليس اشتباهاً كما قال البعض، بل هو حقد دفين وبغض لئيم لعترة المصطفى -صلى الله عليه وآله- وشيعتهم، فقد هجم الوهابيون قبل ذلك في عام ١٢١٦هجرية على كربلاء المقدّسة، وقتلوا زوّار الإمام الحسين -عليه السلام- ونهبوا ما في خزانة الحرم المطهّر، وقد ارتكب الوهابيون جرائم وفظائع لا تُوصف، فقد قيل أنّهم قتلوا نحو خمسة آلاف مسلم، وكرّروا الهجوم على النّجف الأشرف كذلك، وقد فعلوا ومثّلوا تماماً كما فعل ومثّل يزيد وجنوده في هجومه على مكّة والمدينة، وهذا خير مثال لعنجهيّة هؤلاء القوم، الذين لا يعرفون من الإسلام إلّا الشّرك والتّكفير والتّصفية الجسدية.

والآن تبدو مقبرة البقيع لزائر المدينة المنوّرة وكأنّها ثغرة عمرانية وسط المدينة المقدسة، وبين عمران واسع وحديث وكأنّ هذا العمران يستثنيها بتعمّد غريب.. وتبدو تلك البقعة وكأنّها منسيّة وسط ثورة عمران هائلة من حولها.. والشّذوذ العمراني هذا إنّما يعكس وراءه شذوذاً أخطر يتمثّل في التّفكير المتخلّف وإصرار السّلطات السّعودية على العمل بفتاوى مجموعة من علماء الوهابية خارجة عن الاجماع الإسلامي تقضي حسب زعمهم بحرمة البناء على القبور وزيارتها واعتبار ذلك شركاً.. وهذا الإصرار على إبقاء قبور البقيع سوية مع الأرض بل وإزالة حتى شواهدها والألواح التي تشير إلى أصحابها. وهي مثبّتة على قبور الموتى حتى من الناس الاعتياديين

هذا الاصرار لا يلحق تشويهاً بالعمران ومظهر المدينة فحسب ولكنه يلحق تشويهاً

بالإسلام، ونظرة العالم إلى هذا الفعل الشّاذ وكأنّ الأمّة لا تُقدّر مقدّساتها.. وبما يعكسه هذا الإصرار السّعودي على الاستهانة بقبور أهل بيت النبي -صلى الله عليه وآله- وما يعنيه ذلك من السّعي لإهانة النّبي الأكرم-صلى الله عليه وآله- نفسه بإهانة أهل بيته- عليهم السلام-؛ لأنّ القبر المهان هو إهانة لكل من يمت لصاحب القبر بصلة وعلى رأسهم هنا النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله-

إنّ الحاجة العمرانية البحتة تستدعي بناء البقيع، إذا لم يكن بما يتناسب ومقام أصحاب القبور العظماء من آل النبي -صلى الله عليه وآله- وأزواجه وأعمامه وعمّاته والخيرة من صحبه، فليكن لا أقل بما يتناسب وأبسط متطلّبات العمران . إنّ الإسلام لا يمانع من جعل المقابر في حالات معالم عمرانيّة سيما إذا كانت في موقع هام كوسط المدينة مثلاً لو كانت هناك ضرورة أهم لذلك.. كما حدث في العديد من البلاد الإسلاميّة، وبما لا يعد استهانة بأصحاب القبور.. ولا نعلم لماذا هذا الإصرار السعودي على معاندة حتى قوانين العمران وضوابط المدينة الحديثة بالإصرار على إهمال البقيع وقبوره وعدم بنائها بناءً يتناسب ومحيطها العمراني.

أمّا الحاجة العقائدية فهي أهم وأكثر إلحاحاً من الحاجة العمرانية، فقلوب الملايين من المسلمين تحترق كل حين، وكلّما شاهدت قبور أهل بيت النبي -صلى الله عليه وآله- والصّفوة من أصحابه وهي كالبلى في حين لا يوجد في الإسلام ولدى المسلمين بكافّة مذاهبهم أي مانع شرعي من البناء وإقامة المساجد والمزارات على قبور الأولياء والصّالحين، وما شذت عن هذا الإجماع الإسلامي إلّا الفئة الوهابيّة فقط.. وخير دليل على ما نقول هو ما نشاهده اليوم من قبور للأولياء أقيمت عليها مبانٍ ومساجد وجعلت مزارات منتشرة في طول البلاد الإسلامية وعرضها.. في مصر مساجد ومقامات على قبور الأولياء الصّالحين.. ومسجد رأس الإمام الحسين -عليه السلام- هو من أبرز معالم القاهرة حيث يروى أنّ رأسه -عليه السلام- دُفن هناك، وهذه سوريا بمقاماتها الشّهيرة للسّيّدة زينب -عليها السلام-.. والسيدة رقية بنت الإمام الحسين -عليه السلام-.. وللنبي يحي -عليه السلام- في جامع دمشق.. وللعديد من صحابة النبي

-صلى الله عليه وآله- كحجر بن عدي وعمار بن ياسر وأويس القرني -رضوان الله عليهم-..

ومن المغرب العربي حيث العديد من قبور الأولياء وحتى أواسط آسيا ومروراً حتى بتركيا التي على علمانية حكّامها فإنّهم لم يقدموا على هدم قبور الأولياء الصّالحين فيها، والأردن حيث مقامات جعفر بن أبي طالب الطيار -عليه السلام- وعبد الله بن رواحة وزيد بن حارثة وها هو العراق الذي يكاد يفيض بالمقامات والمشاهد المقدّسة للأنبياء والأئمّة من أهل البيت -عليهم السلام- وأبنائهم.. وأصحابهم بما لا يتّسع المجال لتعدادهم.. كمرقد الإمام علي بن ابي طالب -عليه السلام- الذي بناه هارون العباسي.. وقبور أنبياء الله آدم ونوح.. وهود وصالح، وسيد شباب أهل الجنة الإمام الحسين -عليه السلام- والإمام موسى الكاظم وحفيده الجواد والهادي والعسكري.. -عليهم السلام-.

وكذلك قبور الصّحابة كقبر سلمان الفارسي وجابر الأنصاري وحذيفة بن اليمان في المدائن، وكذلك قبور زعماء المذاهب السنية كأبي حنيفة.. والإمام أحمد، وتشهد إيران مقامات لا تكاد تُعد لأهل البيت -عليهم السلام- وعلى رأسهم الإمام علي بن موسى الرضا -عليه السلام-، واخته السّيدة معصومة -عليها السلام-.. وللعديد من علماء السنة.. وهذا يوضح مدى اهتمام الأمم بقبور عظمائها. إنّ كل الأمم، مؤمنها وكافرها، تسعى بحكم العقل والفطرة إلى تكريم عظمائها لا في حياتهم فحسب، بل حتى بعد مماتهم..

وقبل أن نسعى للرد على دعاويهم المزعومة بتحريم بناء القبور نشير إلى أنّ قبر محمد بن عبد الوهاب نفسه كما رآه من زاره في الدّرعية ملاصق المسجد.. وهو قبر يزار وبجواره بئر يتبرّكون بمائه ويتوضئون منه قبل دخولهم المسجد!

ثم لماذا نذهب بعيداً بالاستشهاد بالقبور المبنيّة والمساجد والمزارات المقامة عليها وهذا قبر سيّد المرسلين نبيّنا محمد -صلى الله عليه وآله- ومسجده المشيد على مقربة من البقيع المهدّم، هو أكبر الأدلّة على ما نذهب إليه.. وفي الحقيقة لم يقم النّظام السعودي

ببنائه ولكن هذا البناء إنّما هو موروث توارثته الأمّة جيلاً بعد جيل.. وبدء من لحظة رحيل النّبي -صلى الله عليه وآله- تماماً كما توارثت الكعبة المبنية.. وتماماً كما توارثت أيضاً القبور المبنيّة لأئمة البقيع التي كانت كذلك حتى عام ١٩٢٥ م عندما امتدّت يد (العدوان) الوهابيّة، ولربّما همّوا بهدم قبر النّبي ومسجده لولا خشيتهم من العواقب الوخيمة لهذا العمل.. وقد همّوا بذلك فعلاً.. وبدؤا في محاولات مشبوهة للمساس بالقبر النّبوي الشّريف ولكنهم لم يتمكّنوا من الاستمرار فيها، فقد أفتوا بحرمة الاسراج (الإضاءة) عند القبور، ومنعوا الاسراج عند قبر النبي -صلى الله عليه وآله- في عام ١٣٤٦ هجرية، ثم تراجعوا عن ذلك. وهكذا تجد أنّنا لا نطالب الحكومة السعودية هنا ببناء البقيع، وإنّما بإعادته إلى حالته السّابقة كما جعلها المسلمون وأقاموا على قبور أهل بيت النّبي وصحبه الأخيار القباب والبناء اللائق.. تماماً كما تعاهدوا قبر نبينا المصطفى -صلى الله عليه وآله- ولم يظهر معترضاً على ذلك إلّا محمد بن عبد الوهاب وأتباعه في السّنوات المتأخّرة. وعندما يعتبرون بناء القبور وزيارتها شركاً وبدعة فإنّهم إنّما ينسبون ذلك في واقع الأمر إلى جميع المسلمين قبلهم الذين بنوا هذه القبور وحافظوا على زيارتها والتّبرك بها.. وما فعل المسلمين ذلك من أنفسهم بل انطلاقاً من فهمهم للقرآن الذي يصرّح بذلك وبشكل واضح وجلي كما سنرى.. واقتداء بسنة نبيهم -صلى الله عليه وآله-.. إنّ القرآن الكريم والسيرة النّبوية وما تلاها وسيرة المسلمين جميعاً تردّ على دعاوي الوهابية وبدعها التي تحرم بناء القبور وزيارتها.. وما نشير إليه في هذا المجال هو بالاستناد إلى المصادر السنية فقط.. والا فالمصادر الشّيعية أكثر بكثير ونبدأ بالقرآن الكريم وهو بحمد الله موضع اجماع المسلمين جميعاً بكافة طوائفهم ومذاهبهم.. قال تعالى في قصة أهل الكهف بعد أن عُثر عليهم: **(إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا)**(١)، وهي آية صريحة واضحة في جواز اتخاذ المسجد على قبور الصّالحين، كما فعل المؤمنون بقبور أهل الكهف -عليهم السلام- وبنوا عليهم مسجداً للعبادة يتعبّد الناس فيه ببركاتهم.. إلّا أن سياق الآية جاء أيضاً ليصوّر القضية وكأنّها تشبه ما يجرى بين

المسلمين وبين الوهابيين اليوم.. فهناك نزاع بين فئتين حول ما يفعلون بقبور هؤلاء الأولياء.. فئة من المشركين في ذلك الزّمن قالت ابنوا عليهم بنياناً كالذي يبنى على القبور، وفئة من المؤمنين الذين تغلب رأيهم في النّهاية حيث قالوا: لنتّخذنّ عليهم مسجداً.. وفي الحقيقة لكلٍّ فئة دوافعها لذلك.. الفئة المشركة يهمها طمس آثار الدّين وكل ما يذكر الناس بالله كأصحاب الكهف.. لذلك كان يهمّهم أن يطمس أثرهم في أسرع وقت.. أمّا الفئة المؤمنة. ومنطقها الإيماني فإنّها تحرص على المحافظة على أي أثر إيماني يبعث في الناس الإيمان ويذكرهم بقدرة الله وآياته.. وأهل الكهف هم آية من آيات الله حتى بعد مماتهم.. وما أكثر آيات الله الصامتة.. وها هي نراها منتشرة حولنا كالشّمس والقمر والسّماء والكواكب.. وغيرها.. وهكذا النّبي والإمام والولي الصّالح وإن كان ميتاً ومدفوناً تحت الثّرى لكنه آية من آيات الله تؤثر في الناس بعد مماتها كما أثرت فيهم في حياتها.. والآن.. مع أي فئة يمكن تصنيف الفكر الوهابي الذي يصر على طمس آثار قبور أئمة الهدى وأولياء الله الصالحين ويحرم -من عنده- إقامة البناء أو المساجد عليها..

وفي الحقيقة إنّ المشركين في زمن العثور على أصحاب أهل الكهف كانوا أقل تطرّفاً من الفكر الوهابي المتحجر اليوم. فقد كان من رأي أولئك المشركين أن يبنى بنياناً على تلك القبور.. أمّا الوهابية فإنّها لا تجيز حتى هذا المقدار وتصر على تسوية القبور بالأرض ونزع أي شواهد أو علامات أو ألواح صخرية تشير إلى أصحابها!!

والحقيقة إلى جانب هذه الآية الكريمة الصّريحة في جواز بل تغليب رأي بناء المساجد على قبور الأولياء.. فإنّ آيات عديدة في القرآن.. بل الكتاب الكريم في مجمله هو دعوة دائمة للتفكر في أحوال الماضين من الصّالحين وغيرهم لنقتفي أثر الصّالحين ونعتبر من مصير غير الصّالحين.. وهذه دعوة غير مباشرة للاحتفاظ بآثار الماضين، فننظر لها ونأخذ منها العبر والدّروس.. ولعل قبر الإنسان الصّالح هو من أبرز ما يذكر به. لقد احتفظ ربّ العزة بآثار آل موسى وهارون ورفعها للسماء عندما استخفت بها بنو إسرائيل ثم أعادها تحملها الملائكة عندما بعث الله لهم طالوت ملكاً قال تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ

آيَةَ مُلْكِه أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَى وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)(٢).

نحن نبحث قضيّة البناء على القبور وإقامة المساجد عليها فهي تعتبر سنة الأنبياء -عليهم السلام- جميعاً وهي سنّة خاتمهم وسيّدهم المصطفى محمد -صلى الله عليه وآله- وكلّنا يعلم أنّ قبور معظم أنبياء الله هي اليوم في مساجد ومقامات عظيمة.. كالنبي إبراهيم -عليه السلام- وبنيه .. والنبي داوود ويوسف-عليهما السلام- في القدس.. وكان قد نقله النّبي موسى من مصر إلى هناك وآدم ونوح ضجيعي الإمام علي بن أبي طالب- عليهم السلام- في مشهده العظيم في النّجف الأشرف.. والنّبي يحيى -عليه السلام- في دمشق.. وغيرهم..

وعليه.. فلا مانع من اتخاذ مسجد عند قبر أو قبر عند مسجد إنما المانع هو أن يكون القبر يعبد من دون الله-تعالى-، وهذا لا يوجد في دنيا الإسلام، ولا عبرة لمتوهّم أو مغالط فإنّ التّوهم أو المغالطة لا يغيران من الحقيقة شيئاً، فالمنهي عنه هو ما يعبد من دون الله سبحانه.

وهكذا ترى أنّ فتاوى الوهابية لا تستند إلى أي أساس شرعي وتاريخي.. بل أن شرع الإسلام وتاريخه هو على العكس تماماً من دعاويهم بحرمة البناء على القبور واتخاذ المساجد عندها.. وهي دعاوى مردودة بنص القرآن الكريم والسنة والسيرة النبوية المطهرة وسيرة السّلف الصالح من بعدها. فالحزب الوهابي إذا كابر في الدّفاع عن صحة فتاواه على هشاشتها وابتداعها، فهل يكابر في أهمية احترام رأي واجتهاد المسلم وعقيدته! وهو مسلم مثله.. له حق في البقيع.. وله حق في إبداء رأيه واجتهاده في بناء قبور الأولياء الصّالحين فيه.

وقد يقول قائل منهم إنّ النبي أو الولي لا يفيد شيئاً بل المطلوب الالتفاف والتّوجه إلى ما خلفه من سنة وتعاليم وأحكام.. ونقول أنّ هذا هو هدفنا أيضاً.. ولكن للوصول إلى هذا الهدف وسائل عديدة.. وزيارة قبور النبي وأهل بيته-صلوات الله عليهم- هي واحدة من أهم الوسائل التي تجعل الناس يتوجهون لتعاليمهم.. إنّ وقفة أمام قبر النبي

أو الولي من أهل بيته-صلوات الله عليهم- يعيش معها الإنسان حالة روحية ونفسية خاصة لا توفرها لنفسه القراءة النّظرية لسيرته وسننه -صلى الله عليه وآله-.. إنّ هذه نعمة من نعم الله -تعالى-.. الا ترى أنّه -سبحانه- جعل الاستغفار والتوبة ولكن جعل النبي باباً لعفوه وغفرانه..

وكما رؤية النبي لها عطاءات عظيمة.. أليس تفرقون بين من رأى النبي وتجعلون له الأفضلية على من لم يره.. فهذا صحابي.. وذلك تابعي.. وهكذا. كذلك الوقوف على قبره وقبر الأولياء أهل بيته والصّالحين من صحبه.. تعطي للإنسان زاداً روحياً عظيماً قد يكفيه طوال حياته.. وكم هم أولئك الذين تحوّلت حياتهم لوقفة وقفوها عند قبر نبي أو ولي.. ولا يخفى أنّ الكتب ليست متوفّرة للناس جميعاً.. وحتى لو توفّرت فإنّ الأكثرية لا تقرأ أو لا تتعمق في قراءتها.. ولكن زيارتها لقبور عظمائها من الأنبياء ملائمة تزودها بشحنات عظيمة من الإيمان.. والالتزام بأحكام الدّين.. ولعمري تلك هي أهداف رسالات الأنبياء-صلوات الله عليهم-.. ولماذا نمنع تحققها عن طريق زيارة قبورهم.. ونجعل طريق الهداية طريقاً واحداً وهو قد لا يتوفر للجميع أو قد لا يتمكن الكثير من ان يسلكوه، بسبب مشاغل الحياة المعروفة. نقول ذلك.. ونؤكد انه حتى كبار العلماء عندما يقفوا في حضرة النبي أو الإمام فإنهم يحصلون على زاد روحي وإيماني لا يتمكنون من تحصيله بالقراءات والبحوث النظرية البحتة.. ألا تلاحظ مثلاً أنَّ أروع القصائد الروحية إنَّما كتبها أصحابها في أجواء مكة والمدينة، حول البيت وحول قبر النبي وأهل بيته-صلوات الله عليهم-.. أو من وحي زيارات الشعراء لتلك الأماكن..

وقد يقول قائل ان القبور هي للاعتبار وتذكر الموت ومصير الإنسان في النهاية ومن الأفضل ان يبقى القبر بالياً ليذكرنا بالفناء. وهذا صحيح وغير صحيح. صحيح بالنسبة لعامة القبور ولكن ليس صحيحا بالنسبة لقبور عظماء الأمة وقادتها التي ينبغي ان نتذكر بالوقوف عندها أكثر من مجرد ذكر الموت ولكن العظماء حالة أخرى مختلفة هم صفوة وقلة، ينبغي ان نقف عند قبورهم لا لتذكر الموت والفناء؛ لأنهم ليسوا من أهل الدنيا لنقول هاهم قد انتهوا.. بل لم يكن أحد يذكر الموت ويزهد في الدنيا مثلهم، انما

نقف لنتذكر القيم العظيمة والمبادئ والتضحيات التي بذلوها من أجل الدين والمواقف العظيمة التي اتسمت بها حياتهم، وذلك يبعث دواعي الالتزام الأوثق بتلك المبادئ والعزم على المضي في طريقهم.. لقد افنوا أعمارهم وأموالهم وضحوا بكلِّ شيء من أجل الدين هل نقف عند قبر النبي لنتذكر الموت، أم لنذكر هذا الإنسان العظيم الذي بداخله.. أفضل الخلق وخاتم النبيين وسيد المرسلين، فتعيش مشاعر لا توصف هي أهم من مشاعر ذكر الموت.. هي مشاعر تولد فيك عوامل الاستعداد للموت.. لأن الألم من ذكر الموت، هو الاستعداد له بالعمل، بل ذلك هو الهدف من تذكر الموت.. وحافز العمل والإيمان انما تحصل عليه من هذه القبور الطاهرة.

إنَّ هذا الإسلام الذي نتنعم به، من جاء به وأرسى دعائمه وثبت أركانه سوى أصحاب هذه القبور بدءاً من النبي الأكرم -صلى الله عليه وآله وسلم- وأهل بيته-صلوات الله عليهم- والخيرة من أصحابه.. حيث قام الإسلام وتثبتت أركانه بتضحيات محمد.. وعلي .. وخديجة.. وفاطمة .. والحسن .. والحسين.. والأئمة من ولده -عليهم السلام- فتقف عند قبورهم لنعيش مشاعر الثمن العظيم الذي قدموه ليصل الإسلام إلينا..

بقيت إشارة أخيرة.. حيث أنَّ الحركة الوهابية هي حركة فوضوية ليس لبدعها أي أساس ديني ويشير في أحسن الظروف إلى أنَّها حركة سياسية وليست دينية هدفها تمرير سياسات الحاكم واهواءه عن طريق الافتاء باسم الدين ، وأن الفكر الوهابي فكر متقلب وغير ثابت، ولأن أحكام الدين تتميز بالثبات.. والاجتهاد الرصين لا يتقلب أصحابه يوما بعد آخر، سواء من جهل أو تبعاً لأهواء سياسية وأغراض الحكام تلحق التشويهات بالدين ويدفع الناس ثمنا غاليا لها.. وقد كانت ولا تزال قضية قبور البقيع واحدة من أبرز ضحايا هذه الحركة المشبوهة .

الهوامش:

١. سورة الكهف/ الآية: ٢١.

٢. سورة البقرة/ الآية: ٢٤٨.

ملف خاص

عن

الإمام محمد الباقر عليه السلام

الباقر
باقر العلم
لماذا يُلقّب الإمام محمد الباقر عليه السلام بابن الخيرتين
طارق الغانمي/ صحفي
صدى البقيع ٤٩
صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

يعتبر الإمام محمد الباقر -عليه السلام- الرّابط الرئيسي بين أسرتي سيّدي شبابي أهل الجنة الإمامين الهمامين الحسن والحسين -عليهما السلام-، فهو أوّل هاشمي علوي يولد من جهتهما -صلوات الله عليهما-؛ لأنّ أباه الإمام زين العابدين -عليه السلام- من صلب الإمام الحسين -عليه السلام-، وأمّه فهي الجليلة التّقية، الطّاهرة، الفاضلة، العابدة، الزّاهدة، الصّالحة؛ فاطمة بنت الإمام الحسن المجتبى -عليهما السلام-، التي نشأت وترعرعت في بيت الكرم والجود والإباء، لتتلقى مناهل العلم والمعرفة من بيت النّبوّة، وبهذا الارتباط العلوي أصبح الإمام الباقر -عليه السلام- يلقّب بـ(ابن الخيرتين)، ليكون ملتقى الكرامات، ومجمع العلم، والآصرة العلويّة، فقد أثلج بولادته الميمونة قلوب أهل البيت -عليهم السلام- فما أكرمه وما أعظمه -صلوات الله تعالى عليه-.

وإذا أردنا تسليط الضّوء على أمّ الإمام الباقر -عليه السلام- فهي من العلويات المخدرات، والصّدّيقات الطّاهرات، ذات العلم والشّرف والحياء والعفّة والكمال، تمتاز عن سائر بنات الإمام الحسن المجتبى -عليه السلام- بالجلالة وعظمة الشّأن والنّجابة. عمّها الإمام الحسين الشّهيد -عليه السلام-، وجدّها الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-، وجدّتها الصّدّيقة فاطمة الزّهراء -عليها السلام-، وبهذا النّسب يكفيها فخراً أنّها من أغصان الشّجرة الطّيّبة، ومن ثمار الدّوحة الهاشميّة، فتزوجها الإمام زين العابدين -عليه السلام-، وهي أوّل علويّة تتزوّج من علوي، وأوّل فاطميّة تتزوّج من فاطمي، وعلى أساس هذا النّسب الشّريف أصبحت ذرّيتها علوية فاطمية حسينية حسنية، لتكون ثالث هاشمية تتزوّج من هاشمي بعد جدّتها الكبرى فاطمة بنت أسد -عليها السلام-، التي تزوّجت جدها الأكبر أبا طالب -عليه السلام-، وفاطمة الزّهراء -عليها السلام- التي تزوّجت من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -عليه السلام-.

تربّت السّيّدة فاطمة في كنف والدها الإمام المعصوم الحسن السّبط -عليه السلام- حيث العلم والحلم والكرم، وبعد أن استشهد أبوها المجتبى -عليه السلام- بمؤامرة دنيئة دبّرها له معاوية بن أبي سفيان -عليه اللعنة والعذاب- بالاستعانة بزوجة الإمام

(جعدة بنت الأشعث)، فأصبحت عائلة الإمام الحسن -عليه السلام- تحت رعاية إمام زمانها الحق الإمام الحسين -عليه السلام-، الذي بادر برعاية أُسرة أخيه وجعلها كأُسرته تماماً في التّربية والتّعليم والنّصح والإرشاد والإنفاق ونحو ذلك من الأمور الأُخرى، وهكذا عاشت فاطمة في كنف السّبطين -عليهما السلام- معاً، الأمر الذي أسهم في تكوين شخصيّتها، حتى توفّرت فيها جميع المقوّمات والمؤهّلات من سمو الحسب، وعلو النّسب، وغزارة العلم، وقمّة الحلم، فزوّجها الإمام الحسين -عليه السلام- من ولده السّجاد -عليه السلام-، وبهذا الاقتران المبارك غمرت البيت النّبوي بهجة وسرور، ولتكون فيما بعد أُمّاً للذّرّية الطّاهرة، ولتنال شرف الدّنيا والآخرة، حيث أصبحت أُمّاً لثاني التّسعة المعصومين من ذرّيّة الإمام الحسين -عليه السلام- ألّا وهو الإمام محمد الباقر -عليه السلام- الذي تربّى في حجرها الطّاهر فغذّته بلبنها النّقي، وأغدقت عليه أشعّة سماويّة من روحها الزّكيّة، حتى أصبحت من كينونته الشّخصيّة تفيض جمالاً وتذكو جلالاً وتسمو كمالاً.

فلا غرو إذن أن تسمو هذه النّفس الطّاهرة في حسبها ونسبها وأصلها إلى المقام الرّفيع التي تكون فيه زوجة لمن هو زين العابدين والسّاجدين، وأُمّاً لمن هو باقر لعلوم الأوّلين والآخرين، والمتبحر بالعلم، والمستخرج لغوامضه ولبابه وأسراره، والمحيط بفنونه.

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

الإمام الباقر -صلوات الله عليه- صانع الظّرف والموقف

حسين الشّافعي
باحث إسلامي

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

مقولة الظّروف تصنع رجالاً هي واقعية بالتّجربة، ولا يمكن لأحد أن ينكرها، لكنني أثق بعكسها تماماً ولا أرفضها، أنّ الرّجال يصنعون الظّروف، الرّجال يصنعون المواقف لا المواقف تصنعهم، صحيح أنّ الاختبار هو الذي يميّز الإنسان لكن قلّ من جعلته الظّروف في موطن الاختبار ناجحاً، فإذا أرادوا أن يختبروا قوّتك الهندسيّة او ذهنيتك الرّياضية فإنّهم يطلبون سبق تخصّصك فمن الذي جعلك مهندساً الموقف أم جهدك ودراستك وتعبك؟

ومن جعلك رياضياً هل ذلك الموقف القديم هو من سواك رياضياً؟

الأمر ليس كذلك فإنّ تاريخ العظماء حافل بعطائهم وصناعتهم للظروف، وإذا حُوصر الإنسان بالظّروف فإنّه يصنع فارقاً وسط تلك الظّروف، لا أنكر أنّ هنالك رجالاً صنعتهم الظّروف والمواقف، لكن كلّ ما أريد قوله أنّ هنالك رجالاً صنعوا المواقف والظّروف في آن واحد، إذا أردنا أن نُفتّش في تاريخ الأنبياء والأولياء والعظماء نجدهم صنعوا الأمجاد والمواقف وكلَّ شيء في مختلف الظّروف، فهم رجال الإنتاج والكلمة والعمل والجهاد، هم كالنور في أي ظرف حلّوا هرب الظّلام وإن تعدّدت أشكاله وأماكنه، فرسول الإنسانية محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وآله- قد أنتج وجاهد وعمل وفعل وضرب أروع الأمثلة في الخلق والجهاد والدّين والعفّة والأمانة والصّدق، فلم يصنعه الظّرف ولم تجعله مكة صادقاً وأميناً، إنّما بشخصه وبتوفيق الله واصطفائه، فكان رجلاً استثنائياً منقطع النّظير، لا يقربه أحد في هذه الجهة أبداً، وظهر بعده من تمتّع بصفاته وتخلّق بها، وكانت بالطّليعة الأولى ذرّيّته الطّاهرة، إذ هم امتداد لذلك النّور فنورهم من نوره -صلى الله عليه وآله-، وأبرزهم أمير المؤمنين -عليه السلام- وولديه الحسن والحسين -عليهما السلام-، وتوالت في الأئمة من بعدهم، وكان من أولئك العظام الإمام محمد بن علي الباقر-عليه السلام- فقد شهدت أيّامه تسلّط للسلطة الأمويّة المعروفة بكلِّ قبيح وشر، القامعة لكلِّ خير وأمان، فقد صنع ظرفاً وصنع موقفاً ظاهراً الى أيّامنا هذه، وإن وصلنا الشّيء القليل منه، فالذي وصل حصلت منه الكفاية، صنع مجداً علمياً، فكان الأستاذ الأوّل في زمانه، فلم يقارن بأي شخص آخر، فاستطاع

بذلك العلم أن يبني صرحاً تمجّده الأجيال المتعاقبة، في وقت كانت الكلمة كالنار تحرق من تطلق عليه، فهو أطلق الحجج والبراهين، فضلاً عن التّقية ودورها في التّعايش القهري والجبري؛ لأنّ الحفاظ على النّفس أمراً مفروغ عنه، ومن عظيم الدّلائل أنّ هذا اللّقب (الباقر) لم يلقّب به أحدٌ قبله مطلقاً، وكلُّ من يذكر الباقر يرجعه للإمام محمد بن علي -عليهما السلام-، وقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرّخين والمتخصّصين بالتّراجم والرّجال، منهم ابن ناصر الدّين قائلاً: (الباقر: بفتح أوّله وبعد الألف قاف مكسورة ثم راء: أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي رضوان الله عليهم) فلم يتعلم عند أحد والكلُّ تعلّم عنده.

وهذه النّصوص كاشفة عن الأصل العلمي للإمام -عليه السلام- فلم يطرق باب أحد، كيف وهو باب العلم في وقته، فهو من صنع تلك الظّروف العلمية والمواقف المشهودة، وهو من بثّ العلم واستخرج كنوزه، وبقره وفصله، قال النّووي: (المعروف بالباقر؛ لأنّه بقر العلم أي شقه وفتحه فعرف أصله وتمكّن فيه) وسجّل قوله هذا في مكان آخر من كتابه: (ومنه سمّي محمد الباقر رضي الله عنه؛ لأنّه بقر العلم ودخل فيه مدخلاً بليغاً ووصل منه غاية مرضيّة)، ولم يكن النّووي وحده في المضمار فقد قال العيني: (أبو جعفر المعروف بالباقر، سمّي به؛ لأنّه بقر العلم أي: شقّه بحيث عرف حقائقه، وهو أحد الأعلام التّابعين الأجلّاء) وحسبك هؤلاء فقط فخذ القرطبي في تفسيره والذّهبي في تذكرته وسيرته وعبره وتاريخه، واليعقوبي في تاريخه، والصفدي في وفياته، والمكي في مرآته، وابن العماد في شذراته، والسّخاوي في تحفته، والحلبي في سيرته، وابن حجر في صواعقه، وغيرهم الكثير من علماء مدرسة السّنة، وما هذا إلّا غيض من فيض، ونقلاً يسيراً عن فضله وعلمه، فما خفي كان أعظم وأجلى من ذلك بكثير فهذه تصريحات من لم يؤمنوا بإمامته وخلافته، يروي ابن الجوزي: (عن عطاء المكي قال: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر منهم عند أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين! ولقد رأيت الحكم بن عيينة مع جلالته في القوم بين يديه كأنّه صبي بين يدي معلمه! وكان جابر بن يزيد الجعفي إذا روى عن محمد بن علي شيئاً قال : حدثني وصيُّ

الأوصياء، ووارث علم الأنبياء: محمد بن علي بن الحسين).

إنّ البحث الموجز في مصادر التاريخ والسيرة كشف لنا عن عظم الشّخصية العلمية للإمام الباقر-عليه السلام- عند المدارس الإسلاميّة الأخرى وإلا فهو عندنا أحد أهم أركان الإمامة الإلهية المؤيدة من السّماء المختارة من الله-تعالى- ربِّ الأرباب، ولم يكن الإمام الباقر-عليه السلام- وليد ظرف أو موقف معين، بل هو من صنع الظّرف والموقف العلمي، فسلام عليه أبداً ما بقي الليل والنهار.

الباقر عليه السلام

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

الإمام الباقر عليه السلام ثنائية المسؤولية تجاه الأمّة والنّظام السّياسي

د. نضير الخزرجي
باحث إسلامي

صدى البقيع ٥٩
صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

في حياة البشرية محطّات مهمّة، لا يمكن إدراك جسامتها وعظيم تأثيرها إلّا بالنّظر الى نتائجها وآثارها في الحياة اليوميّة، فنبوّة الخاتم -صلى الله عليه وآله- محطّة كبيرة وانتقالة نوعية في مسيرة البشرية لنا أن نقف على ضخامتها بالنّظر الى نحو ملياري إنسان يشهدون الشّهادتين ويشكلون أكبر الدّيانات السّماويّة على وجه الأرض، واستشهاد الإمام الحسين-عليه السلام- يوم عظيم أعاد لقطار الأمة توازنه وتدارك سقوطه في وحل الجاهلية من جديد، ولنا أن نتلمس هذا الدّور العظيم لسيّد الشّهداء من خلال الواقع الذي نحن فيه حيث تتغنى الأمم بألحان الحرّيّة التي غرّد بها الطّائر في كربلاء المقدسة عام ٦١هـ، وتشكل حياة الإمام محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب-عليه السلام-، محطة كبيرة في واقع الفقه الإسلامي، حيث وضع النّواة الأولى والقواعد المتينة لما يُعرف اليوم بالفقه الجعفري نسبة الى نجله الإمام جعفر الصّادق-عليه السلام-، وهذه المحطّة نرى أعمدتها الشّاهقة ونحتك بآثارها من خلال الحواضر العلمية المتألّقة المتوزعة هناك وهناك وهي تلهج بفقه الباقر -عليه السلام- والصّادق-عليه السلام-، من قبيل حاضرة المدينة المنوّرة وبغداد وكربلاء المقدّسة والحلة والنّجف الأشرف وقم المشرفة ومشهد والبحرين ولبنان، وغيرها من المدن العربية والمسلمة التي احتضنت فقه أهل البيت-عليهم السلام- وأخذت المدن شهرتها من هذه المدرسة العميقة والعريقة.

لقد شكّلت فترة ما بعد استشهاد الإمام الحسين-عليه السلام- حتى سقوط العهد الأموي وبدايات قيام العهد العباسي عام ١٣٢هـ، مرحلة دقيقة في حياة الأمّة الإسلاميّة اعتمدها الإمام الخامس من أئمة أهل البيت-عليهم السلام- الإمام محمد الباقر المولود في المدينة المنورة سنة ٥٧ للهجرة والمستشهد بها سنة ١١٣ للهجرة، في بناء أسس مدرسة أهل البيت-عليهم السلام- الفقهية، في الوقت الذي كانت السّلطات الأموية ومن بعدها العبّاسيّة تسعى إلى طمس هذه الخزين الفقهي لأهل البيت-عليهم السلام-، لأسباب سياسية وشرعية وعقائدية، وعلى الرّغم من الحكم الأموي الظّاهر الذي استمر لنحو قرن كامل، فإنّ مقتل الإمام الحسين-عليه السلام- مع أهل بيته وأصحابه، ترك بصمته الدّامغة في حياة الأمّة، وظلّت الاضطرابات السّياسية

والعسكرية حليف النّظام الأموي، وهذا ما ساعد الإمام محمد الباقر -عليه السلام- على بناء قاعدة الفقه الإسلامي المنتهي بمعينه الى رسالة السّماء النّقية ليأتي نجله الإمام الصّادق-عليه السلام- خلال سني حياته وبعد رحيله ليضع البناء فوق تلك القاعدة الرّصينة.

من هنا فإنّ الأمّة الإسلامية بكلِّ طوائفها مدينة للإمامين الباقر والصّادق-عليهما السلام- في إحياء الفقه الإسلامي وبث الحياة في السّنّة النّبوية، والوقوف أمام التّيارات الفكرية التي هبّت رياحها من البلدان التي دخلتها الجيوش الإسلامية، فمن الصّحيح أنَّ الإسلام بسط جناحيه على بلدان شاسعة، ولكن من الصّحيح أيضاً أنّ تلك البلدان تملك ثقافات وأفكار، تسرّبت الى الواقع الإسلامي بحلوها ومرِّها، فكانت تلك الأفكار والتّيارات المخدوشة بمقام السّم في عقول المسلمين وأذهانهم، لذلك كان لابد من أن يجد الرّاسخون في العلم إجابة لها، فالتيارات الفكرية الملوّثة كان لابد أن تجد لها المصدّات المتينة التي تمنع من خراب الذّهنية المسلمة، وتحافظ على الدّماء النّقية للفكر الإسلامي، وهذه المهمّة تولّاها كلُّ أئمة أهل البيت-عليهم السلام-، ولكن العبء الأكبر وقع على الإمامين الباقر والصادق-عليهما السلام-، ففيها توجّهت أنظار الزّعامات المسلمة الى المناصب في الحكومات المتعاقبة، وقد انصبّ اهتمام الإمام الباقر-عليه السلام- على بناء حلقات الدّرس في المسجد النّبوي الشّريف، فكان لا يعبأ بتكالب البعض من أئمة الفقه والكلام على التّقرّب الى الولاة والسّلاطين، ولكنه في الوقت نفسه كان شديد الاهتمام بواقع المسلمين ويقدّم النّصيحة لولاة الأمر في مقام يستوجب النّصيحة من أجل صالح الرّعيّة ومستقبل الرّسالة الإسلاميّة.

وهذه السّيرة العطرة للإمام محمد بن علي الباقر-عليهما السلام-، وثنائية مسؤوليته تجاه الأمّة والنّظام السّياسي، هي في واقعها أسوة طيّبة لحملة العلم في نشر تعاليم الإسلام بما يحفظ للأمّة هويّتها بعيداً عن التّطرّف والغلو، ودرس للقادة والسّاسة في تقبّل النّصيحة بما فيه خير الرّعيّة وسلامة البلاد والعباد.

الإمام الباقر

الإنسانُ في ثلاثِ كلماتٍ للإمام الباقر -عليه السلام-

أ.م.د. علي مجيد البديري
استاذ أكاديمي/ جامعة البصرة

صدى البقيع ٦٣
صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

من الصّعب على الباحث في علم الإنسان أن يجد كلمة موجزة تختصر حقيقة الإنسان، وتسبر أغوار السّلوك البشري خارج المأثور عن أهل بيت النّبوّة والوحي -عليهم السلام-، وهو أمر عائد إلى طبيعة مصدر التّجربة، وخصوصيّة العلوم لدى الأئمة -عليهم السلام- مما تكفّلت بتوضيحه وبيانه جملةٌ من الدّراسات العقائديّة في هذا المجال. من ذلك ما أثر عن الإمام محمد الباقر -عليه السلام- من أجوبة عن سائلٍ أراد معرفة حقائق حول الإنسان، صاغها في ثلاثة أسئلة حول الزّهد والخسارة والقدْر، وهي أحوال يتقلّب فيها الناس، وتتفاوت مستوياتهم فيها، ولذا كانت الأسئلة حول الأشد والأخسر والأعظم منهم، فكان الآتي: سُئل الإمام الباقر -عليه السلام-: من أشد النّاس زهداً؟

قال-عليه السلام-: **" من لا يبالي الدّنيا في يد من كانت، فقيل له: من أخسر الناس صفقة؟ قال: من باع الباقي بالفاني، فقيل له: من أعظم الناس قدراً؟ قال: من لا يرى الدّنيا لنفسه قدراً"(١).**

إنَّ المشترك في الكشف عن نتيجة المفاضلة بين الناس هنا هو موقف الإنسان من الدّنيا، إذ تتحدّد هويته من خلاله، فهو أشد النّاس زهداً حين تكون الدّنيا خارج حساباته على الإطلاق، ولا يعتني بإقبالها عليه أو إدبارها عنه، وسواء أكانت بعض زينتها بيده أو بيد غيره، فقلبه متعلّق بمن له الدّنيا والآخرة، وهنا من المفيد ذكر تعريف دقيق لمعنى الزّهد وضعه أحد العلماء المعاصرين، ويبدو لي أنّه مستمد من بعض معاني هذه الكلمات الشّريفة، يقول فيه: **" إذا كان الزّهد عبارة عن ترك الدّنيا للوصول إلى الآخرة فهو يعد من الأعمال الجوارحية، وإذا كان عبارة عن عدم الرّغبة وعدم الميل إلى الدّنيا الملازم لتركها فهو يعد من الأعمال الجوانحية".**

الأمر متحقق في حالتين إذن؛ الأولى: ترك الدّنيا رغبة في الآخرة ووسيلته الجوارح، والثّانية عدم مجرد الرّغبة والميل إلى الدّنيا ووسيلته الجوانح، وفي هذه الحالة الأخيرة تتجسّد أقصى حالات الزّهد في الدّنيا، إذ تكون اللامبالاة بها موقفاً حياتياً ثابتاً في كلِّ ما تمر به الدّنيا من تحوّلاتٍ وانعطافات وإقبال وإدبار، وهذا المعنى الذي سيأخذه فيما بعد

أحد شعراء التّصوّف ويصيغه معنى محدداً للزهد في الدّنيا ولذاتها، إذ يقول:

الزّهد تركُ محلـلٍ ومحلـــل ومحلل، فازهد فزهدك أزهد

والتّرك شيء لا وجود لعينه ولــه لسان في الشّريعة يحمد

في الزّهد تعظيم الأمور، وماله عنـــد المحقق قيمة لا تجحدُ

وهكذا الأمر مع الحالة التي يكون فيها (أسفل سافلين) فيبيع الباقي بالفاني، ويكون أخسر الناس صفقة؛ لأنّه أسّس لهذا الموقف بإيمان فاسد بأنّ المتعجل من اللذائذ والشّهوات هو الربح الحقيقي في وجوده كله، وليست الآخرة المؤجلة شيئاً ذا قيمة إزاء ما يراه أمامه.

أمّا المفاضلة الثّالثة فتشترك نتيجتها مع الأولى في أنّ الإنسان يكون أعظم النّاس قدراً حين تنعدم قيمة الدّنيا وقدرها لديه، مستشعراً عظمة النّعمة في وجوده وتكريمه من قبل المولى -تبارك وتعالى- الذي نفخ فيه الروح، جوهر رفعته وتكريمه: (**إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ**)(٢).

من هنا كان أهم مرتكز في بناء الإنسان هو الرّوح، والدّرس الأكبر في ذلك هو تهذيب النّفس.

من جانب آخر يمكن تلمس أبعاد تأثير هذه الكلمات للإمام الباقر -عليه السلام- في ما وضعه كاتبو نصوص التّصوّف الإسلامي للزهد من تعاريف، منها بإيجاز:

(١) " الزّهد هو النّظر إلى الدّنيا بعين الزّوال لتصغر في عينك فيسهل عليك الإعراض عنها".

(٢) " الزّهد عزوف النّفس عن الدّنيا بدون تكلف".

(٣) " الزّهد استصغار الدّنيا ومحو آثارها من القلب".

(٤) " الزّهد فراغ القلب من الدّنيا، لا فراغ اليد"

(٥) "ليس الزّهد أن تترك الدّنيا من يدك وهي في قلبك، وإنّما الزّهد أن تتركها من قلبك وهي في يدك".

من الواضح جداً وجود أصداء كلمات الإمام الباقر -عليه السلام- في ثنايا هذه المحاولات لحصر معنى الزّهد وتحديده، وتشترك كلّها في بيان موقف الإنسان من الدّنيا جارحةً وجانحة، غير أنّ ما يمكن أن تستثيره فينا كلمات الإمام -عليه السلام- من أفكار ستنسحب بمجرد قراءتنا لكلمات تختصر عبر مفاضلة مختصرة مواقف الإنسان من الدّنيا، ومستوى هذا الموقف، إلى عقد مفاضلة جديدة، سيكون طرفها الأوّل القارئ ذاته (نحن) في مقابل أشدّ الناس، وأخسر الناس، وأعظم الناس، أمّا السّؤال الجديد سيكون: أين أنا من هذا؟ ، وفي أي مستوى أكون؟ .. وهنا يتجسّد البعد التّربوي والأخلاقي الكبير في كلمات الإمام -عليه السلام-، ولا شك في أنّ عمليّة البحث عن الإجابة من قبل المتلقي ستكون شاقّة جدّاً ذلك أنّها ستبدأ بعمل صعب وشائك هو محاسبة النّفس وموازنتها مع المثال، وهي الخطوة الأولى في الطّريق إلى بناء الذّات من جديد، قائمة على معرفة أولى بالنّفس، ومتوجّهة إلى ترميم ما تهرّأ منها وضعف، سيكون الأمر في مجمله هو التّأكيد على ملازمة المعرفة للسلوك من أجل صيانة التّكريم الإلهي الذي خصَّ به المولى -تبارك وتعالى- الإنسان من بين مخلوقاته.

الهوامش:

١. البيان والتبيين للجاحظ: ٣/ ١٦١.

٢. سورة ص : الآيتان ٧١ و٧٢.

نافوعلوم لنسين

الإمام محمد الباقر عليه السلام

صدى البقيع ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الباقر
باقر العلم
من أدوار الإمام الباقر -صلوات الله عليه-
هيئة التحرير/ وحدة الإصدارات
صدى البقيع ٦٩
صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

منذ فجر التاريخ حتى اليوم آمن الشّيعة بأنّ أئمة أهل البيت -عليهم السلام- قد وهبهم الله -تعالى- العلم والحكمة وفصل الخطاب، كما وهب أنبياءه الكرام ورسله العظام- صلوات الله عليهم-. و(ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وأكّد هذا العلم المؤرخون والرّواة فقالوا: كان أئمة أهل البيت يملكون طاقات هائلة من العلوم والمعارف لم يملك مثلها أحد من الناس، وقد فاقوا بمواهبهم جميع العلماء الذين عاصروهم، والأدلّة على ذلك متوفرة وكثيرة. يكفي أن نذكر سيد العترة الطّاهرة الإمام أمير المؤمنين -عليه السلام- الذي أعلن من على منبر الكوفة: (سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني عن طرق السّماء فإنّي أعلم بها من طرق الأرض) فعلومه -عليه السلام- قد تجاوزت شؤون هذا الكوكب الذي يعيش عليه الإنسان إلى شؤون الكواكب والفضاء.

الإمام علي -صلوات الله عليه- صاحب نهج البلاغة أثرى كتاب عالمي عرفته الإنسانية بعد القرآن الكريم، وباب مدينة علم الرّسول الأعظم محمد -صلّى الله عليه وآله- ووصيه فاق جميع علماء الدّنيا في مواهبه وعلومه.

وعلى هذا الطّراز من سعة العلم وغزارة المعرفة كان سائر الأئمة الطّاهرين -عليهم السلام- من بعده. وقد اعترف ابن خلدون بهذه الظّاهرة لأئمة أهل البيت -عليهم السلام- فقال: (وإذا كانت الكرامة تقع لغيرهم فما ظنك بهم علماً وديناً، وآثاراً من النّبوة، وعناية بالأصل الكريم تشهد لفروعه الطّيبة، والشّريعة قد قررت أنّ البشر محجوبون عن الغيب إلا من أطلعه الله عليه من عنده في ولاية، وقد وقع لجعفر وأمثاله من أهل البيت كثير من ذلك مستندهم فيه والله أعلم الكشف بما كانوا من الولاية، فهم أولى الناس بهذه الرّتب الشّريفة والكرامات الموهوبة)(١).

وإليك عزيزي القارئ جوانب من حياة الإمام الباقر -صلوات الله عليه-، تبيِّن الأدوار العظيمة الذي نهض به الإمام -عليه السلام-:

علم الفقه عند الإمام الباقر -عليه السلام-

أمّا علم الفقه فقد أُخِذ معظمه من الإمامين الإمام الباقر وولده الإمام الصّادق -عليهما السلام- وقد حفلت موسوعات الفقه بالرّوايات الكثيرة التي أُثرت عنهما، ومازالت

يرجع إليها فقهاء الإماميّة في استنباطهم الأحكام الشّرعية، وفي إصدارهم الفتاوى.

لقد جهد الإمام الباقر وولده الإمام الصّادق -عليهما السلام- على نشر الفقه الإسلامي وشرحه وتبيانه بصورة إيجابية تفصيلية في زمن كان المجتمع الإسلامي غارقاً في الأحداث السّياسيّة المؤلمة والثّورات الدّاخلية الدّامية. مما جعل الحكومات تهمل الشّؤون الدّينية إهمالاً تامّاً. فالحكّام والعلماء والشّعب لم يعد لديهم المعرفة في أمور الدّين، حتّى في العبادات باتوا يتأرجحون ولا يجزموا في أمور دينهم من صوم وحج وصلاة وغير ذلك، من ذلك ما روي أنّ ابن عباس خطب في نهاية شهر رمضان على منبر البصرة فقال: (أخرجوا صدقة صومكم).

فكان الناس لا يعلمون كيف ذلك. فقال: من هنا من أهل المدينة قوموا إلى إخوانكم فعلّموهم، فإنّهم لا يعلمون من زكاة الفطرة الواجبة شيئاً (٢).

والحقيقة أنّه في عصر بني أميّة كان الحكّام لا يهتمون بأمور الدّين بل كان همّهم الوحيد تثبيت دعائم الحكم والبذخ والتّرف والحياة الدّنيا ولم يكن يعرف من هذه الشّؤون الدّينية إلّا أهل المدينة وحدهم (٣) فالدّور المشرق في ذلك الزّمن المظلم والظّالم كان للإمام الباقر والإمام الصّادق -عليهما السلام- فقد عمدا إلى نشر الفقه الإسلامي، وبيان أحكام الشّريعة الإسلاميّة فكان لهم الفضل الجليل في العالم الإسلامي ولولاهما لخسر المسلمون أعظم ثروة دينيّة لهم. فكان والحالة هذه أن أسرع أبناء الصّحابة ورؤساء المذاهب الإسلامية كأبي حنيفة ومالك وغيرهما إلى الأخذ من علوم الإمامين وكان لمدرستهما الفضل في حفظ الثّروة الدّينيّة من الضّياع، وللإمام الباقر الدّور المشرق في المحافظة على نضارة الإسلام. يقول مصطفى عبد الرّزاق: (من المعقول أن يكون النّزوع إلى تدوين الفقه كان أسرع إلى الشّيعة؛ لأنّ اعتقادهم العصمة في أئمّتهم فكان حرياً إلى تدوين أقضيتهم وفتاواهم)(٤).

وبذلك ساهم الشّيعة في بناء فقه الصّرح الإسلامي وثرواته الدّينيّة.

من غرر حواراته

مع رجل قدري:

ابتلي المسلمون في ذلك الوقت برجل من القدرية أفسد عليهم دينهم، ولم يقدروا على ردّ تخرصاته وإبطال مزاعمه، فرأى عبد الملك أنّ لا طريق لإفحامه والرّد عليه إلّا الإمام محمد الباقر -عليه السلام- فكتب إلى عامله على يثرب رسالة يطلب فيها إحضار الإمام إلى دمشق، والتّلطّف معه. عرض حاكم يثرب على الإمام -عليه السلام- رسالة عبد الملك، فاعتذر الإمام -عليه السلام- عن السّفر؛ لأنّه شيخ لا طاقة له على عناء السّفر، لكنه أناب عنه ولده الإمام جعفر الصّادق-عليه السلام- للقيام بهذه المهمّة. سافر الإمام الصّادق -عليه السلام- إلى دمشق فلمّا حضر عند عبد الملك قال له: قد أعيانا هذا القدري، وإنّي أحب أن أجمع بينك وبينه، فإنّه لم يدع أحداً إلّا وخصمه، وأمر بإحضاره فلمّا حضر عنده أمره الإمام الصّادق -عليه السلام- بقراءة الفاتحة، فبهر القدري، وأخذ بقراءتها، فلمّا بلغ قوله: (**إيّاك نعبد وإيّاك نستعين**) قال له الإمام -عليه السلام-:

(**من نستعين؟ وما حاجتك إلى المعرفة إن كان الأمر إليك**) وبان العجز على القدري، ولم يطق جواباً، وواصل الإمام حديثه في إبطال مزاعمه ورد شبهه.

مع قسّيس:

ومرّة كان الإمام الباقر -عليه السلام- في الشّام فالتقى مع قسّيس من كبار علماء النّصارى وجرت بينهما مناظرة اعترف القسّيس بعجزه وعدم استطاعته على مناظرة الإمام والرّد عليه. قال أبو بصير: قال أبو جعفر -عليه السلام-: مررت بالشّام، وأنا متوجّه إلى بعض خلفاء بني أميّة فإذا قوم يمرّون، فقلت: أين تريدون؟ قالوا: إلى عالم لم نرَ مثله، يخبرنا بمصلحة شأننا، قال: فتبعتهم حتى دخلوا بهواً عظيماً فيه خلق كثير، فلم ألبث أن خرج شيخ كبير متوكئ على رَجُلين، قد سقطت حاجباه على عينيه، وقد شدهما فلمّا استقرّ به المجلس نظر إليَّ وقال:

من أنت، من الأمّة المرحومة؟

فقال -عليه السلام-: من الأمّة المرحومة.

فقال: أمن علمائها أم من جهّالها؟

فقال -عليه السلام-: لست من جهّالها.

فقال: أنتم الذين تزعمون أنّكم تذهبون إلى الجنة فتأكلون وتشربون ولا تحدثون؟!!

فقال -عليه السلام-: نعم.

فقال: هات على هذا برهاناً.

فقال -عليه السلام-: نعم، الجنين يأكل في بطن أمّه من طعامها، ويشرب من شرابها ولا يحدث.

فقال: ألست زعمت أنّك لست من علمائها؟

فقال -عليه السلام-: إنّما قلت لك: لست من جهّالها.

فقال: أخبرني عن ساعة ليست من النّهار وليست من الليل؟

فقال -عليه السلام-: هذه ساعة من طلوع الفجر إلى طلوع الشّمس، لا تعدها ليلاً ولا تعدها نهاراً وفيها تفيق المرضى.

بهر القسّيس وراح يقول للإمام:

ألست زعمت أنّك لست من علمائها؟

إنّما قلت لك: لست من جهّالها.

والله لأسألك عن مسألة ترتطم فيها.

فقال -عليه السلام-: هات ما عندك.

أخبرني عن رجُلين ولِدا في ساعة واحدة، وماتا في ساعة واحدة؟ عاش أحدهما مائة وخمسين عاماً وعاش الآخر خمسين عاماً؟

فقال -عليه السلام-: ذلك عزير وعزيرة. عاش أحدهما خمسين عاماً ثم أماته الله مائة عام، فقيل له كم لبثت؟ قال: يوماً أو بعض يوم، وعاش الآخر مائة وخمسين عاماً، ثم ماتا جميعاً. عندها صاح القسيس بأصحابه، والله لا أكلّمكم، ولا ترون لي وجهاً اثني عشر شهراً (٥).

وسبب حنقه منهم؛ لأنّه ظنّ أنّهم عمدوا إلى إدخال الإمام -عليه السلام- عليه لامتحانه وفضيحته، ونهض الإمام أبو جعفر -عليه السلام- وأخذت الشّام تتحدّث عن قدراته العلمية ووفرة اطلاعه على جميع المعارف في عصره.

مع قادة الاعتزال:

التقى الإمام الباقر -عليه السلام- مع قادة المعتزلة، وجرت بينه وبين كبار علمائها عدّة مناظرات نذكر منها مناظرته:

مع الحسن البصري:

وفد الحسن البصري إلى يثرب فتشرّف بمقابلة الإمام أبي جعفر -عليه السلام- فقال الإمام:

جئت لأسألك عن أشياء من كتاب الله؟

فقال الإمام -عليه السلام-: ألست فقيه البصرة؟

فقال: قد يقال ذلك.

فقال الإمام -عليه السلام-: هل بالبصرة أحد تأخذ عنه؟

فقال: لا.

فقال الإمام -عليه السلام-: فجميع أهل البصرة يأخذون عنك؟

فقال: نعم.

فقال الإمام -عليه السلام-: لقد تقلدت عظيماً من الأمر، بلغني عنك أمر فما أدري أكذلك أنت أم يكذب عليك؟

فقال: ما هو؟

فقال الإمام -عليه السلام-: زعموا أنّك تقول: إنّ الله خلق العباد ففوّض إليهم أمورهم.

وأطرق الحسن البصري برأسه إلى الأرض وحار في الجواب، فبادره الإمام قائلاً:

أرأيت من قال له الله في كتابه: إنّك آمن هل عليه خوف بعد القول منه؟

فقال: لا.

فقال الإمام -عليه السلام-: إنّي أعرض عليك آية، وأنهي إليك خطاباً، ولا أحسبك إلا وقد فسرته على غير وجهه، فإن كنت فعلت ذلك فقد هلكت، وأهلكت.

فقال: ما هو؟

فقال الإمام -عليه السلام-: أرأيت حيث يقول الله: (**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ**)(٦).

بلغني أنّك أفتيت الناس فقلت: هي مكة.

قال الحسن البصري: بلى.

وأخذ الإمام يستدل على ما ذهب إليه في تفسير الآية حتى بهت الحسن البصري وحار في الجواب، ثم نهاه عن القول بالتّفويض وبيّن فساده(٧).

مع عمرو بن عبيد:

هو شيخ المعتزلة وزعيمها الرّوحي، التقى بالإمام أبي جعفر -عليه السلام- وكان قد قصد امتحانه واختباره فوجّه له السّؤال التّالي:

جعلت فداك ما معنى قوله -تعالى-: (**أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا**)(٨).

قال -عليه السلام-: كانت السماء رتقاً لا تنزل القطر، وكانت الأرض فتقاً لا تخرج النبات.

وأفحم عمرو ولم يطق جواباً وخرج من المجلس ثم عاد إليه، وقال للإمام: جعلت فداك، أخبرني عن قوله -تعالى-: (**ومن يحلل عليه غضبي فقد هوى**)(٩) ما معنى غضب الله؟

قال -عليه السلام-: غضب الله عقابه، ومن قال: إنّ الله يغيره شيء فقد كفر(١٠).

مع عمرو الماصر (المرجئة):

كان عمرو بن قيس ممن ذهب إلى الإرجاء. وقد قصد مع رفيق له الإمام -عليه السلام-. انبرى عمرو يسأل الإمام قائلاً: (إنّا لا نخرج أهل دعوتنا، وأهل ملّتنا من الإيمان في المعاصي والذّنوب) فردَّ عليه الإمام مزاعمه الفاسدة قائلاً:

(يا بن قيس: أمّا رسول الله -صلّى الله عليه وآله- فقد قال: (لا يزني الزّاني وهو مؤمن ولا يسرق السّارق وهو مؤمن) فاذهب أنت وأصحابك حيث شئت)(١١) ما ذهب إليه المرجئة يتنافى مع الإيمان؛ لأنّ الإيمان قوّة رادعة للنفس تصونها من ارتكاب الذّنوب، ومن يقترفها لا عهد له بواقع الإيمان.

مع نافع الأزرق (الخوارج):

نافع الأزرق هو من أعلام الخوارج، وفد على الإمام الباقر -عليه السلام- يسأله عن بعض المسائل الدّينيّة، والإمام يجيبه عنها. وبعد أن فرغ من أسئلته قال له الإمام -عليه السلام-:

قل لهذه المارقة بمَ استحلتم فراق أمير المؤمنين -عليه السلام- وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته، والقربة إلى الله في نصرته؟ وسيقولون لك: إنّه قد حكم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله في شريعة نبيّه رجلين من خلقه فقال: (**فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**)(١٢) وحكم رسول الله -صلّى الله عليه وآله- سعد بن معاذ في بني قريظة من حكم فيهم بما أمضاه الله عز وجل، أوما علمتم أنّ أمير المؤمنين -عليه السلام- إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن، واشترط عليهما أن يتجاوزا أحكام القرآن من أحكام الرجال، وقال حين قالوا له: (قد حكمت على نفسك، من حكم عليك فقال: ما حكمت مخلوقاً، وإنّما حكمت كتاب الله، فأين تجد المارقة تضليل من أمر الحكمين بالقرآن واشترط رد ما خالفه لولا ارتكابهم في بدعتهم البهتان) وبهر نافع بهذا الكلام السّديد، وطفق يقول: (هذا والله كلام ما مرَّ بمسمعي قط، ولا خطر ببالي، وهو الحق إن شاء الله)(١٣).

الإصلاح الفكري والعقائدي

من الأزمات التي خلّفتها سيرة الحكّام السابقين هي أزمة ارتباك المفاهيم وما رافقها من تقليد وسطحية في الفكر، فلم تتجلّ حقيقة التّصور الإسلامي عند الكثير من المسلمين لكثرة التّيّارات الهدّامة ونشاطها في تحريف المفاهيم السّليمة وتزييف الحقائق، فكان دور الإمام -عليه السلام- هو حمل النّفوس على التّمحيص لتمييز ما هو أصيل من

العقيدة عمّا هو زيف، وعلى تحكيم الأفكار والمفاهيم الأصيلة في عالم الضّمير وعالم السّلوك على حدّ سواء، والاستقامة على المنهج الذي يريده الله -تعالى- للإنسان.

وقد مارس الإمام -عليه السلام- عدّة نشاطات لإصلاح الأفكار والعقائد، نشير الى أهمّها كما يلي:

١ ـ الردّ على الأفكار والعقائد الهدّامة والمذاهب المنحرفة

وجد المنحرفون لأفكارهم وعقائدهم الهدّامة أوساطاً تتقبّلها وتروّج لها ـ جهلاً أو طمعاً أو تآمراً على الإسلام الخالد ـ وفي عهد الإمام الباقر-عليه السلام- نشطت حركة الغلاة بقيادة المغيرة بن سعيد العجلي.

روى علي بن محمد النّوفلي أنّ المغيرة استأذن على أبي جعفر-عليه السلام- وقال له: أخبر الناس أنّي أعلم الغيب، وأنا أطعمك العراق، فزجره الإمام -عليه السلام- زجراً شديداً وأسمعه ما كره فانصرف عنه، ثم أتى أبا هاشم عبدالله بن محمد ابن الحنفية فقال له مثل ذلك، فوثب عليه، فضربه ضرباً شديداً أشرف به على الموت، فلمّا برئ أتى الكوفة وكان مشعبذاً فدعا الناس الى آرائه واستغواهم فاتّبعه خلق كثير(١٤).

واستمرّ الإمام -عليه السلام- في محاصرة المغيرة والتّحذير منه وكان يلعنه أمام الناس ويقول: «**لعن الله المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا**»(١٥).

ولعن -عليه السلام- بقيّة رؤساء الغلاة ومنهم بنان التبّان، فقال: « **لعن الله بنان التبّان، وأنّ بناناً لعنه الله كان يكذب على أبي** »(١٦).

وكان -عليه السلام- يحذّر المسلمين وخصوصاً أنصار أهل البيت -عليهم السلام- من أفكار الغلو، ويرشدهم الى الاعتقاد السّليم، بقوله: « **لا تضعوا عليّاً دون ما وضعه الله، ولا ترفعوه فوق ما رفعه الله** »(١٧).

وكان -عليه السلام- يخاطب أنصاره قائلاً: «**يا معشر الشّيعة شيعة آل محمد كونوا النمرقة الوسطى: يرجع إليكم الغالي، ويلحق بكم التالي**»(١٨).

وحذّر -عليه السلام- من المرجئة ولعنهم حين قال: «**اللهمّ العن المرجئة فإنّهم أعداؤنا في الدّنيا والآخرة**»(١٩).

وكان -عليه السلام- يحذّر من أفكار المفوضة والمجبرة. ومن أقواله في ذلك: «**إيّاك أن تقول بالتّفويض! فإنّ الله عزّ وجلّ لم يفوّض الأمر الى خلقه وهناً وضعفاً، ولا أجبرهم على معاصيه ظلماً**»(٢٠).

وفي عرض هذا الردّ القاطع الصّريح كان الإمام-عليه السلام- يبيّن الأفكار السّليمة حول التّوحيد لكي تتعرّف الأُمة على عقيدتها السّليمة.

وكان ممّا ركّز عليه الإمام-عليه السلام- في هذا المجال بيان مقوّمات التّوحيد ونفي التّشبيه والتّجسيم لله -تعالى-.

قال -عليه السلام-: «**يا ذا الذي كان قبل كلّ شيء، ثم خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنى كلّ شيء، ويا ذا الذي ليس في السّموات العلى ولا في الأرضين السّفلى، ولا فوقهنّ، ولا بينهنّ ولا تحتهنّ إله يعبد غيره**»(٢١).

وفي جوابه -عليه السلام- للسّائلين عن جواز القول بأنّ الله موجود، قال: «**نعم، تخرجه من الحدّين: حدّ الابطال، وحدّ التشبيه**»(٢٢).

وقال -عليه السلام-: « **إنّ ربّي تبارك وتعالى كان لم يزل حيّاً بلا كيف، ولم يكن له كان، ولا كان لكونه كيف، ولا كان له أين، ولا كان في شيء، ولا كان على شيء، ولا ابتدع له مكاناً** »(٢٣).

كما ركّز الإمام الباقر-عليه السلام- على العبوديّة الخالصة لله-تعالى-، ونهى عن الممارسات التي تتضمّن الشّرك بالله -تعالى-.

قال -عليه السلام-: « **لو أنّ عبداً عمل عملاً يطلب به وجه الله عزّ جلّ والدّار الآخرة، فأدخل فيه رضى أحد من الناس كان مشركاً**»(٢٤).

كما دعا الى الانقطاع الكامل لله -تعالى- بقوله: « **لا يكون العبد عابداً لله حقَّ عبادته؛ حتى ينقطع عن الخلق كلّه إليه** »(٢٥).

ونهى الإمام-عليه السلام- عن التّكلّم في ذات الله -تعالى-، وذلك؛ لأنّ الإنسان المحدود لا يحيط بغير المحدود فلا ينفعه البحث عن الذّات اللامحدودة إلاّ بُعداً، ومن هنا كان التّكلّم عن ذاته -تعالى- عبثاً لا جدوى وراءه، فنهى -عليه السلام- عن ذلك،

وحذّر منه بقوله: «**إنّ الناس لا يزال لهم المنطق، حتى يتكلموا في الله، فإذا سمعتم ذلك فقولوا: لا إله إلاّ الله الواحد الذي ليس كمثله شيء**»(٢٦).

وممّا ركّز عليه الإمام الباقر-عليه السلام- الرّدع من اتّباع المذاهب المنحرفة والأفكار الهدّامة هو بيان عاقبة أهل الشّبهات والأهواء والبدع، واستهدف الإمام-عليه السلام- من التّركيز على عاقبة المنحرفين فكريّاً وعقائديّاً إبعاد المسلمين عن التّأثّر بهم، وإزالة حالة الأُنس والأُلفة بينهم وبين الأفكار والعقائد المنحرفة.

قال -عليه السلام- في تفسير قوله -تعالى-: (**هل ننبّئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدّنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً**): هم النّصارى والقسّيسون والرّهبان وأهل الشّبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع(٢٧).

الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي

بذل الإمام -عليه السلام- عناية فائقة لإصلاح الأخلاق وتغيير الأوضاع الاجتماعية باتّجاه القواعد والموازين والقيم العليا الثّابتة في الشّريعة الإسلاميّة، وكانت مهمّته التّركيز على إصلاح جميع الوجودات القائمة، بدءاً بالمقرّبين منه ثم الأوساط الاجتماعية ثم المؤسّسات الحكوميّة واتباع الحاكم.

وكان -عليه السلام- يستثمر جميع الفرص المتاحة للإصلاح والتّغيير وبناء واقع جديد، ولهذا تعدّدت أساليبه الإصلاحية والتّغييريّة في المجال الأخلاقي والاجتماعي. وإليك بعض نشاطاته في هذا المجال:

١ ـ الدّعوة لتطبيق السنّة النبوية

قام الإمام -عليه السلام- بنشر الأحاديث الشّريفة النّبويّة المرتبطة بالجوانب الأخلاقية والاجتماعية لكي تكون هي الحاكمة على الممارسات السّلوكيّة والعلاقات الاجتماعية، ولكي تكون نبراساً لأفراد المجتمع بمختلف طبقاتهم في مسيرتهم الإنسانية، تنطلق بهم نحو السّمو والتّكامل، والارتقاء للوصول إلى المقامات العالية التي وصل إليها الصّالحون والأولياء.

وكان -عليه السلام- من خلال نشر هذه الأحاديث النّبويّة ـ يشير إلى العوامل الأساسية

في صلاح الأخلاق والأوضاع الاجتماعية، وهي صلاح الفقهاء والأمراء، فقد روى -عليه السلام- قول جدّه -صلى الله عليه وآله-: **(صنفان من أمّتي إذا صلحا صلحت أمّتي، وإذا فسدا فسدت أمّتي الفقهاء والأمراء)** (٢٨).

ودعا -عليه السلام- إلى إخلاص النّصيحة والإيثار في الممارسة الإصلاحية على ضوء ما جاء عن جدّه رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **(لينصح الرّجل منكم أخاه كنصيحته لنفسه)** (٢٩).

وأكّد -عليه السلام- على دعوة رسول الله -صلى الله عليه وآله- إلى العفّة وتعجيل الخير بقوله: **(إنّ الله يحبُّ الحييَّ الحليم العفيف المتعفف)** (٣٠). وقوله -صلى الله عليه وآله-: **(إنّ الله يحب من الخير ما يعجّل)** (٣١).

وأكّد -عليه السلام- على الأحاديث الدّاعية إلى حسن الخلق والكف عن أعراض المؤمنين منها قوله -عليه السلام-: **(والذي لا إله إلاّ هو ما أعطي مؤمن قط خير الدّنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله ورجائه له، وحسن خلقه، والكفِّ عن اغتياب المؤمنين)** (٣٢).

وقال -عليه السلام-: **(إنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله- نهى عن القيل والقال، وفساد المال، وكثرة السّؤال)**(٣٣).

ودعا -عليه السلام- إلى إدخال السرور على المؤمن كما ورد في قول رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **(من سرَّ مؤمناً فقد سرني ومن سرني فقد سر الله)** (٣٤).

وحث -عليه السلام- على صلة الرّحم بقوله -صلى الله عليه وآله-: **(إن أعجل الخير ثواباً صلة الرحم)** (٣٥).

وذكر -عليه السلام- عشرات الأحاديث الشّريفة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق في الصّدق والإيثار والتّعاون والوفاء بالعهد وحسن التّعامل مع المسلمين وغيرهم، إضافة إلى الأحاديث النّاهية عن الممارسات السّلبية كالكذب والبهتان والتّعيير ونقض العهد، والخيانة والاعتداء على الأعراض والنّفوس.

وممّا جاء في ذلك قول رسول الله -صلى الله عليه وآله-: **(سباب المؤمن فسوق، وقتاله**

كفر، وأكل لحمه معصية) (٣٦).

وقال -عليه السلام-: سُئِل رسول الله -صلى الله عليه وآله- عن خيار العباد، فقال: **(الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا)** (٣٧).

ولم يكتفِ -عليه السلام- بنشر الأحاديث الشّريفة والدّعوة إلى تجسيد محتواها في الواقع، وإنّما قام بأداء دور القدوة في ذلك فكان بنفسه قمّة في جميع المكارم والمآثر، وقد أبرز للمسلمين من خلال سلوكه أنموذجاً من أرقى نماذج الخلق الإسلامي الرّفيع، فكان -عليه السلام- القمّة السّامية في الصّدق والوفاء بالعهد، وأداء الأمانة، وفي التّواضع واحترام الآخرين، والاهتمام بأمور المسلمين، وقضاء حوائج المحتاجين، فكانت معالجته للواقع معالجة عملية من خلال سلوكه النّموذجي مع مختلف أصناف الناس موالين، ومخالفين.

٢ـ الدّعوة إلى مكارم الأخلاق

كثّف الإمام -عليه السلام- دعوته إلى إصلاح مكارم الأخلاق لتكون هي العلامة الفارقة لتعامل المسلمين فيما بينهم، فكان -عليه السلام- يدعو إلى إفشاء السّلام وهو مظهر من مظاهر روح الإخاء والودّ والمحبّة والصّفاء في العلاقات الاجتماعية حتى قال -عليه السلام-: **(إنّ الله يحب إفشاء السّلام)**(٣٨).

ودعا إلى العفّة واعتبرها أفضل العبادة، فقال: **(أفضل العبادة عفّة البطن والفرج)** (٣٩).

ودعا إلى تطهير اللسان وتقييده بقيود شرعية، لإدامة العلاقات بين الناس، فقال -عليه السلام- : **(قولوا للناس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعان السبّاب الطّعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل الملحف، ويحبّ الحيي الحليم العفيف المتعفّف)** (٤٠).

ووضّح كيفية التّعامل مع مختلف طبقات المجتمع فقال: **(صانع المنافق بلسانك، وأخلص مودّتك للمؤمن، وإن جالسك يهودي فأحسن مجالسته)** (٤١).

وبيّن أسس التّعامل مع مختلف الأصناف من الناس فقال: **(أربع من كنّ فيه بنى الله له**

بيتاً في الجنّة، من آوى اليتيم، ورحم الضّعيف، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه) (٤٢).

ودعا -عليه السلام- إلى الارتباط بأهل التّقوى وتعميق أواصر العلاقات معهم لِما اختصّوا به من خصائص تؤثّر على المصاحبين لهم تأثيراً إيجابياً لتجسيد المثل والقيم الإسلامية في الواقع، قال -عليه السلام-: **(إنّ أهل التقوى أيسر أهل الدّنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكروك، وإن ذكرت أعانوك، قوّالين بحق الله، قوّامين بأمر الله)** (٤٣).

ووضّح -عليه السلام- بعض حقوق المؤمن على المؤمن فقال: **(إنّ المؤمن أخ المؤمن لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء به الظّن)** (٤٤).

وقال -عليه السلام-: **(من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله في الدّنيا والآخرة، ومن لم ينصره، ولم يدفع عنه وهو يقدر على نصرته وعونه خفضه الله في الدّنيا والآخرة)** (٤٥).

وحذّر من ظلم الآخرين أو الإعانة على ظلمهم فقال: **(من أعان على مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله)**(٤٦).

ودعا إلى مقابلة الإساءة والقطيعة بالإحسان والصّلة فقال: **(ثلاثة من مكارم الدّنيا والآخرة: أن تعفو عمّن ظلمك وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك)** (٤٧).

مدرسة الإمام الباقر -عليه السلام-

في عصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك بدأت الدّولة الأموية بالتّصدّع، وبدأت عندها الدّعوة العباسية بالظهور.

ففي ذلك الوقت استغل الإمام الباقر -عليه السلام- هذا الظّرف المناسب، وفتح مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- الشّهيرة، والتي أتمَّ مسيرتها الإمام جعفر الصّادق-عليه السلام- من بَعدِه، تخرَّج من هذه المدرسة المُباركة المئات من العلماء الأفاضل.

وكان ذلك مصداقاً لما أخبر به الرّسول الأعظم -صلى الله عليه وآله- جابر بن عبد الله الأنصاري، حيث قال -صلى الله عليه وآله-: **(يَا جَابر يُوشَك أن تلحق بِوَلد مِن وُلدِ**

الحسين، اسمُهُ كاسمي، يبقر العِلْم بقراً، فإذَا رأيتَهُ فأقرأهُ مِنِّي السَّلام).

نعم، لقد بقر الإمام الباقر -عليه السلام- العلمَ، وفَجَّره في جميع مجالات الحياة، من خلال هذه المدرسة العظيمة.

فمدرسة أهل البيت -عليهم السلام- هي أول مدرسة فكرية أُنشِأت في الإسلام، وقد عَملت بِكُلِّ طاقاتها على تقدّم حياة المسلمين وتطويرها.

ولم تقتصر علومها على التّشريع الإسلامي، وإنّما تناولت جميع العلوم والمعارف من الإدارة، إلى الاقتصاد، إلى الطبِّ والكيمياء، إلى الحكمة والفلسفة، إلى علم الكلام، وإلى العلوم السّياسيّة.

هذه المؤسّسة العظيمة قامت بدور مهم في تأسيس هذه العلوم وتدوينها، بعد أن مَنَع الخليفةُ الأول والثاني تدوينَ الحديث الشّريف؛ لأنّ ذلك قد يؤثّر في تلاوة القرآن، وانشغال الناس بالحديث عن كتاب الله -تعالى-.

ولا ريب في أنّه اعتذار مرفوض، لا واقع له، ولا يدخل في حساب المنطق السّليم.

وقد روى السيد حسن الصدر في كتابه: " أنّ الشّيعة هم أوّل من عنوا بالفقه وتدوين بعض مسائله، كالصّلاة، والوضوء، وسائر الأبواب .

ومن هؤلاء نذكر علي بن أبي رافع -رضوان الله عليه-، فقد كان من أعلام الشّيعة وخيارهم في عصر الإمام علي بن أبي طالب -عليه السلام-، كما أنّه كان كاتباً له-عليه السلام-.

فألّف كتاباً في فنون الفقه، فَصَّل فيه كل الأبواب المتعلقة بالعبادة.

وكذلك سليم بن قيس الهلالي الكوفي -رضوان الله عليه-، وهو مؤلف آخر، له شأن كبير في هذا الموضوع .

فكان من أصحاب أمير المؤمنين -عليه السلام-، وعَاشَ إلى زمن الطّاغية الحَجّاج بن يوسف .

وقد أراد هذا -الحجاج- الفتك به، فلجأ إلى أبان بن عَيّاش، فآواه.

وحينما حضرته الوفاة أعطاه كتابه المشهور باسمه، وهو أوّل كتاب ظهر للشيعة، رواه

أبان بن أبي عياش.

مُمَيِّزات مدرسة أهل البيت -عليهم السلام-:

تميّزت مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- بما يأتي:

أوّلاً: الاتصال بالنّبي -صلى الله عليه وآله-:

فالشيء المهم في فقه أهل البيت -عليهم السلام- هو أنّه يتّصل اتصالاً مباشراً بالنّبي -صلى الله عليه وآله-.

فطريقُهُ إليه أئمة أهل البيت -عليهم السلام-، الذين أذهب اللهُ عنهم الرجسَ، وطهَّرَهم تطهيراً، وجعلهم النبي -صلى الله عليه وآله- سُفُن النّجاة، وأَمْن العِبَاد، وعُدَلاء الذّكر الحكيم، حَسْبَما تواترت الأخبار بذلك.

قال -عليه السلام-: **(لو إنَّنا حَدَّثنا برأينا ضَلَلْنا، كما ضَلَّ من قبلنا، ولكِنَّا حَدَّثنا بِبَيِّنَة من رَبِّنا بَيَّنها لنبيِّه -صلى الله عليه وآله-، فَبَيَّنَها لَنا).**

ثانياً: المُرُونة:

إنَّ فِقه أهل البيت-عليهم السلام- يساير الحياة، ويواكب التطوُّر، ولا يَشُذُّ عن الفطرة، ويتمشَّى مع جميع مُتطلَّبات الحياة، فَلَيس فيه حرج ولا ضيق، ولا ضرر ولا إضرار، وإنّما فيه الصّالح العام، والتّوازن في جميع مناحي تشريعاته، وقد نال إعجاب جميع رجال القانون، واعترفوا بأنّه من أثْرى ما قُنِّنَ في عالم التّشريع، عُمقاً وأصالة وإبداعاً.

ثالثاً: فتح باب الاجتهاد:

إنَّ من أهم ما تَمَيَّز به فقه أهل البيت -عليهم السلام- هو فتح باب الاجتهاد، فقد دلَّ ذلك على حَيَويَّة فقه أهل البيت -عليهم السلام-، وتفاعله مع الحياة، واستمراره في العطاء لجميع شؤون الإنسان.

وإنّه لا يقف مَكتوفاً أمام الأحداث المستجِدَّة التي يبتلى بها الناس خصوصاً في هذا العصر الذي برزت فيه كثير من الأحداث، واستحدثت فيه كثير من الموضوعات.

وقد أدرك كبار علماء المسلمين من الأزهر في عصرنا الحاضر مدى الحاجة الملحَّة إلى فتح باب الاجتهاد، كما فعلت الشّيعة الإماميّة .

رابعاً: الرّجوع إلى حكم العقل:

انفرد فقهاء الإمامية عن بقيّة المذاهب الإسلامية فَجَعلوا العقل واحداً من المصادر الأربعة لاستنباط الأحكام الشّرعيّة، وقد أضفوا عليه أسمى ألوان التّقديس فاعتبروه رسول الله الباطني، وإنّه مما يُعبَد به الرّحمن، ويكتَسب به الجنان.

ومن الطّبيعي أنّ الرّجوع إلى حكم العقل إنّما يَجوز إذا لم يكن في المسألة نَصٌّ خاص أو عام، وإلّا فهو حاكم عليه، وإنّ للعقل مَسرحاً كبيراً في علم الأصول الذي يتوقّف عليه الاجتهاد.

خامساً: تنوّع علوم المدرسة:

إنَّ مدرسة أهل البيت -عليهم السلام- التي كان يشرف عليها الإمام الباقر -عليه السلام- لم تقتصر على تدريس علم الفقه، بل اهتمَّت بجميع العلوم العلمية، والفكريّة، والاجتماعيّة، والأدبيّة، والتّاريخية .

لقد ازدهرت هذه المدرسة في عهد الإمام الباقر -عليه السلام-؛ لأنّه قام برعايتها خير قيام، حتى باتَتْ معروفة على صعيد العالم الإسلامي، ممّا جعل العلماء يلتفُّون حوله، من كلِّ حدب وصوب، وينهلون من نَمير علومه، ومعارفه، وحكمه، وتفسيراته.

وقد تخرَّج من هذه المدرسة مجموعة كبيرة من الرواة، والمحدِّثين، والعلماء الثّقات، فتَلقّوا علوماً كثيرة في شتى المجالات، نذكر أنموذجاً منهم: زرارة بن أعين، محمد بن مسلم، ابان بن تغلب، عطاء بن أبي رباح، عمرو بن دينار، الزهري، ربيعة الرأي، ابن جريج، الاوزاعي، بسام الصيرفي، جابر بن حيان الكوفي، وممن تخرج أيضاً أبو حنيفة .

وقد روى بعض مَن شَاهَد الإمام الباقر -عليه السلام- أثناء أدائه لمراسم الحَجِّ، فقال: انثال عليه الناس يستفتونه عن المُعضلات، ويستفتحون أبواب المُشكلات، فلم يرم حتى أفتاهم -عليه السلام- مِن ألف مسألة، ثم نهض يريد رحله.

المنهج التّثقيفي عند الإمام الباقر -عليه السلام-

العلم خير وسيلة لتجلية حقيقة التّصوّر الإسلامي، والمنهج الإلهي في الحياة الإنسانيّة. وهو الوسيلة المُثلى لتوجيه الجماعة الصّالحة. ولذا كان أهل البيت -عليهم السلام- يتشدّدون مع الجماعة الصّالحة في أمر تلقي العلوم المرتبطة بالعقيدة والشّريعة من مصادرها الأصيلة وهي القرآن والسّنّة الشّريفة. وفي منهج الإمام الباقر -عليه السلام- التّثقيفي والتّعليمي المعد للجماعة الصّالحة نلاحظ التّأكيد على الأمور التّالية:

١ ـ الحث على طلب العلم

حثّ الإمام -عليه السلام- على طلب العلم، وخصوصاً علم الفقه فقال: (**الكمال كلُّ الكمال: التّفقّه في الدّين، والصّبر على النّائبة وتقدير المعيشة**)(٤٨).

وحث -عليه السلام- على السّؤال باعتباره مفتاح العلم، وروى عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- قوله: (**العلم خزائن ومفتاحها السّؤال، فاسألوا يرحمكم الله، فإنّه يؤجر فيه أربعة: السّائل، والمعلم، والمستمع، والمجيب لهم**)(٤٩).

٢. موقع العلماء المتميّز وفضلهم

بيّن الإمام الباقر -عليه السلام- فضل العَالِم وقدّمه على العابد؛ لأنّ العلم الحقيقي يجعل الإنسان على وعي كامل بالحقائق والتّصوّرات وبالأحداث والمواقف، فلا يختلط عليه أمر بأمر ولا موقف بموقف فيكون قادراً على التّمييز والتّشخيص، وإصابة الواقع في جميع مجالاته، قال -عليه السلام-: (**عَالِم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد**) (٥٠).

وقال -عليه السلام-: (**والله لموت عَالِم أحبّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً**) (٥١).

وبيّن -عليه السلام- خصائص العالِم فقال: (**إنّ الفقيه حقّ الفقيه: الزّاهد في الدّنيا، الرّاغب في الآخرة، المتمسّك بسنّة النّبي**) (٥٢).

٣ ـ الإخلاص في طلب العلم

حثَّ -عليه السلام- على إخلاص النّيّة في طلب العلم، بأن يكون الهدف النّهائي من طلبه للعلم هو الوصول إلى الحقّ، وتقريره في عقول الناس وقلوبهم تقرباً إلى الله -تعالى-، وتجسيداً لمنهجه في الحياة.

قال -عليه السلام-: (من طلب العلم ليباهي به العلماء، أو يماري به السّفهاء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، فليتبوّأ مقعده من النّار، إنّ الرئاسة لا تصلح إلّا لأهلها) (٥٣).

٤ ـ ضرورة نشر العلم وتثقيف النّاس

حثَّ الإمام -عليه السلام- على نشر العلم وتعليمه للناس، وإشاعته في الأوساط المختلفة، نهي عن كتمانه، بقوله -عليه السلام-: (من علّم باب هدى فله أجر من عمل به، ولا ينقص أولئك من أجورهم شيئاً ...) (٥٤).

وقال -عليه السلام-: (رحم الله عبداً أحيا العلم يذاكر به أهل الدّين وأهل الورع) (٥٥).

وجعل على العلم زكاة فقال: (زكاة العلم أن تعلّمه عباد الله) (٥٦).

كما جعل تذاكره ومدارسته صلاة، فقال: (تذاكر العلم دراسة، والدّراسة صلاة حسنة) (٥٧).

٥ ـ مزالق وآفات المتعلّمين

إنّ الإنسان مهما أوتي من علم فإنّه يبقى بحاجة إلى المزيد، ويبقى في كثير من الأحيان جاهلاً ببعض الحقائق، لذا حثّ الإمام -عليه السلام- على الاحتياط في الإجابة لكي يأمن الانحراف، ولا تؤدّي إلى تغرير الآخرين، قال -عليه السلام-: (الوقوف عند الشّبهة خير من الاقتحام في الهلكة، وتركك حديثاً لم تروه خير من روايتك حديثاً لم تحصه) (٥٨).

وقال: (ما علمتم فقولوا، وما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم، إنّ الرّجل لينتزع الآية من القرآن يخرّ فيها أبعد ما بين السماء والأرض) (٥٩).

وجعل هذا الاحتياط حقّاً لله على العباد، فقال: (حقّ الله على العباد: أن يقولوا ما يعلمون، ويقفوا عندما لا يعلمون) (٦٠).

٦ ـ المرجعية العلميّة

من الحقائق المشهورة عند المسلمين أنّ أمير المؤمنين علياً -عليه السلام- أعلم الصّحابة بكتاب الله وسنّة رسوله -صلى الله عليه وآله-، وهو باب علم الرّسول -صلى الله عليه

وآله-، وقد علّم أبناءه ما تعلّمه من رسول الله -صلى الله عليه وآله- وكانوا يتوارثون العلم فيما بينهم، من هنا كان أهل البيت -عليهم السلام- أعلم الناس بالقرآن والسّنّة، ولهذا أكّد الإمام الباقر -عليه السلام- على مرجعية أهل البيت -عليهم السلام- العلمية، وبيّن أنّ علمهم موروث منذ آدم إلى يومه هذا، فقال: **(إنّ العلم الذي نزل مع آدم عليه السلام لم يرفع، والعلم يتوارث، وكان عليّ -عليه السلام- عالم هذه الأمّة، وأنّه لم يهلك منّا عالم قط إلاّ خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله)** (٦١).

وبيّن اختصاص أهل البيت -عليهم السلام- بعلم القرآن ظاهره وباطنه فقال: **(ما يستطيع أحد أن يدّعي أنّ عنده جميع القرآن كلّه ظاهره وباطنه غير الأوصياء)** (٦٢).

كما بيّن أنّ علمهم -عليهم السلام- علم صائب، فقال: **(ليس عند أحد من الناس حقّ ولا صواب ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقّ إلاّ ما خرج منّا أهل البيت)** (٦٣).

وقد أثبت الواقع أهليّتهم -عليهم السلام- للمرجعية العلمية العامّة للمسلمين جميعاً، فكانوا مقصد العلماء من جميع أمصار العالم الإسلامي.

وكان -عليه السلام- يحث الجماعة الصّالحة على الرجوع لأهل البيت الأطهار -صلوات الله عليهم- تجسيداً لهذه المرجعية وتحصيناً لهم من الزّيغ والانحراف(٦٤).

وكان أيضاً يرشد أصحابه إلى مراجعة العلماء الذين أخذوا العلم من أهل البيت -عليهم السلام- واتقنوا فنونه وأسسه وقواعده(٦٥).

٧ـ المؤسّسات الثّقافيّة

كان للإمام الباقر -عليه السلام- دور كبير في توسيع المؤسّسات الثّقافيّة، فقد أسّس عدّة مدارس في أهم الأمصار الإسلامية:

مدرسة المدينة: وكان يشرف عليها مباشرة، وينتقي منها الفقهاء ليواصلوا حمل العلم ونشره.

مدرسة الكوفة: وكان يشرف عليها من تتلمذ على يديه، وتخرّج من مدرسته، وقد أثمرت هذه المدرسة في نشر علوم أهل البيت -عليهم السلام- وإرجاع الناس إليهم، حتى اعترف الحاكم الأموي هشام بن عبد الملك بهذه الحقيقة، فقد أشار إلى الإمام

-عليه السلام- قائلاً: هذا المفتون به أهل العراق(٦٦) . ولذا أمر الأمويون بمنع أهل العراق من الالتقاء بالإمام -عليه السلام- (٦٧) .

مدرسة قم: وكان يشرف عليها بعض من تتلمذ على يدي الإمام -عليه السلام-، وهي متفرّعة من مدرسة الكوفة. وتأثّرت بمدرستي الكوفة وقم مدارس أُخر في الشرق الإسلامي، كمدرسة الرّي وخراسان(٦٨) .

وهنالك مدارس جوّالة كان يؤسسها طلّابه أينما حلّوا وهي محدودة بحدود عدد الأفراد المشرفين وبمقدار الاستجابة لهم من قبل الناس. والمؤسّسات الثّقافية كان لها دور كبير في تخريج الفقهاء والمبلّغين من مختلف الأمصار. وكانت أساليب الإمام التّثقيفيّة متنوّعة، بعضها ذو طابع فردي والآخر ذو طابع جماعي. كما كان التثقيف يتم عن طريق التّدريس، وأخرى عن طريق الرّسائل والوصايا.

ولم يكن تثقيفه وتعليمه مقتصراً على الفقه والأصول أو العلوم الدّينيّة بشكل خاص، بل كان شاملاً لجميع العلوم المعروفة آنذاك(٦٩) .

منهج التّزكية عند الإمام الباقر -عليه السلام-

رسم الإمام -عليه السلام- للجماعة الصّالحة منهجاً واقعيّاً متكاملاً وشاملاً لتزكية النّفس وتربيتها بحيث يكون كفيلاً بتحقيقها عند مراعاته بشكل دقيق.

وتتحدّد معالم هذا المنهج بالنّقاط التّالية:

أ. الارتباط الدّائم بالله -تعالى-

الارتباط بالله -تعالى- والاستسلام له والعزم على طاعته من شأنه أن يمحّص القلوب، ويطهّر النّفوس؛ لأنّه ينقل الإنسان من مرحلة التّفكّر والتّدبّر في عظمة الله -تعالى- وهيمنته ورقابته إلى مرحلة العمل الصّالح في ظلّ هذا التّدبّر، فالعزم يتبعه العون منه -تعالى-، ويتبعه التّثبيت على المضي في طريق تزكية النّفس.

والارتباط بالله -تعالى- يبدأ بمعرفته التي تحول بين الإنسان وبين مخالفة ربّه وخالقه، قال -عليه السلام-: (ما عرف الله من عصاه) (٧٠) .

فإنّ المعرفة تنتج الحبّ والحبّ الصّادق يحول بين الإنسان وبين مخالفة محبوبه.

والارتباط بالله -تعالى- يتجسّد في مراتب عديدة منها: حسن الظّن بالله ورجاء رحمته، فقد روى عن جدّه رسول الله -صلى الله عليه وآله- أنّه قال: **(والذي لا إله إلاّ هو ما أعطي مؤمن قط خير الدّنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنّه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب النّاس)** (٧١).

ويتحقّق الارتباط بالله -تعالى- أيضاً عن طريق المداومة على العبادات وقد حثّ الإمام -عليه السلام- الجماعة الصّالحة على كثرة العبادة، حتى جعلها إحدى خصائصهم ـ كما تقدّم ..

وحثّ -عليه السلام- على قراءة القرآن الكريم والسّير على منهاجه.

كما حثّ -عليه السلام- على جعل الرّوابط والعلاقات الاجتماعية قائمة على أساس القرب والبعد من الله -تعالى-، فقد أورد أحاديث لرسول الله -صلى الله عليه وآله- تؤكد على ذلك ومنها قوله -صلى الله عليه وآله-: **(ودّ المؤمن للمؤمن في الله من أعظم شعب الإيمان، ومن أحبّ في الله، وأبغض في الله، وأعطى في الله، ومنع في الله؛ فهو من أصفياء الله)** (٧٢).

ب ـ الإقرار بالذّنب والتّوبة

إنّ منهج أهل البيت -عليهم السلام- يهدف إلى علاج النّفوس البشريّة، واستجاشة عناصر الخير فيها، وإلى مطاردة عوامل الشّر والضّعف والغفلة. والطّبيعة البشرية قد تستقيم مرّة وتنحرف مرّة أُخرى، ولهذا فإنّ العودة إلى الاستقامة تقتضي محاسبة النّفس باستمرار، والإقرار بالأخطاء، ثمّ التّوبة، والعزم على عدم العود، ولذا أكّد الإمام -عليه السلام- على هذه المقوّمات، وبدأ بالإقرار بالذّنب كمقدّمة للنجاة منه، فقال -عليه السلام-: **(والله ما ينجو من الذّنب إلاّ من أقرّ به)** (٧٣). وقال -عليه السلام-: **(كفى بالنّدم توبة)** (٧٤).

والإقرار يتبعه الغفران بعد طلبه من الله -تعالى-، قال -عليه السلام-: **(لقد غفر الله لرجل من أهل البادية بكلمتين دعا بهما قال: اللهم إن تعذبني فأهل ذلك أنا، وإن تغفر لي فأهل ذلك أنت، فغفر له)** (٧٥).

والتّوبة تمحي الذّنب فيعود الإنسان من خلالها إلى الاستقامة ثانية، قال -عليه السلام-: **(التّائب من الذّنب كمن لا ذنب له، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ)** (٧٦).

ج. الحذر من التورّط بالذّنوب

الحذر والحيطة من الذّنوب ضرورة ملحّة في تزكية النّفس، وهي تتطلّب الدّقّة في تناول كلِّ خالجة وكلِّ حركة وكلِّ موقف، وتتطلّب التّحليل الشّامل للأسباب والظّواهر، والعوامل المسبّبة للموقف، والتّعالي بالنّفس في ميادينها الباطنية، ولهذا دعا الإمام -عليه السلام- إلى الحذر والحيطة من جميع الممارسات فقال: **(إنّ الله خبّأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبّأ رضاه في طاعته، فلا تحقرن من الطّاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه، وخبّأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً فلعلّ سخطه فيه، وخبّأ أولياءه في خلقه، فلا تحقرنّ أحداً فلعلّه ذلك الولي)** (٧٧).

ودعا -عليه السلام- إلى الاحتياط في القول في الحكم على الأشخاص والأعمال والممارسات فقال: **(لا يسلم أحد من الذّنوب حتى يخزن لسانه)**(٧٨).

وقال -عليه السلام- لأحد أصحابه: **(يا فضيل بلّغ من لقيت من موالينا عنّا السلام، وقل لهم: إنّي أقول: أنّي لا أغني عنكم من الله شيئاً إلاّ بورع، فاحفظوا ألسنتكم، وكفّوا أيديكم، وعليكم بالصّبر والصّلاة؛ إنّ الله مع الصّابرين)** (٧٩).

د. تعميق الحياء الدّاخلي

إنَّ موجبات التّزكية كامنة في النّفس ذاتها، قبل التّأثّر بالعوامل الخارجية، والتّزكية ليست مجرد كلمات ورؤى نظرية بل هي ممارسة وسلوك عملي، يجب أن تنطلق من داخل النّفس الإنسانية، ولا بد أن يتسلّح الإنسان بالوازع الذّاتي الذي يصدّه عن فعل القبيح، ولذا أكّد الإمام -عليه السلام- على الحياء؛ لأنّه حصن حصين يردع الأهواء والشّهوات من الانطلاق اللامحدود، قال -عليه السلام-: **(الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه)** (٨٠).

هـ. كسر الألفة بين الإنسان وسلوكه الجاهلي

حينما يعتاد الإنسان على السّلوك الجاهلي فإنّه سيأنس به، ويألفه حتى يصبح وكأنه جزء من كيانه، ترضاه نفسه، ويقبله قلبه، ولهذا فهو بحاجة إلى كسر هذه الألفة وهذا الأُنس إن أراد أن يزكّي نفسه ويسمو بها إلى مشارف الكمال، ولذا أكّد الإمام -عليه السلام- على بعض الخطوات التي تكسر هذه الألفة، فقال:(**إنّ الله يبغض الفاحش المتفحّش**) (٨١).

وزرع في النّفس كراهيّة الطّمع والرّغبات المذلة، فقال: (**بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله**) (٨٢).

ومن أجل زرع الكراهية للشر رُوي عن رسول الله -صلى الله عليه وآله- قوله: (**ألا إنّ شرار أمّتي الذين يكرمون مخافة شرّهم، ألا وإنّ من أكرمه النّاس اتقاء شرّه فليس منّي**) (٨٣).

وقال -عليه السلام-: (... **إنّ أسرع الشّر عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يَعمى عليه من نفسه، وأن يأمر للناس بما لا يستطيع التحوّل عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه**) (٨٤).

فإذا كسرت الألفة بين الإنسان وسلوكه الجاهلي فإنّه سيقلع عنه، ويكون مهيّئاً لتقبّل السّلوك الإسلامي.

و. إزالة الحاجز النّفسي بين الإنسان والسّلوك السّليم

قد يحدث حاجز نفسي بين الإنسان والسّلوك السّليم بسبب ضغط الأهواء والشّهوات، أو بسبب الهواجس والوساوس المطبقة عليه، وسوء التّصوّر، ورواسب الجاهلية، والضّعف البشري، فلا بد من إزالة هذه الحواجز أولاً ثم التّمرين على ممارسة السّلوك السّليم ثانياً.

فقد حبّب الإمام -عليه السلام- إلى أصحابه السّلوك الصّالح، بربطه بالعبادة وطلب العون من الله -تعالى-، فقال: (**ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج، وما من شيء أحبُّ إلى الله من أن يُسأل، وما يدفع القضاء إلاّ الدّعاء، وإنّ أسرع الخير ثواباً البرّ...**)

(٨٥).

وحبّب إلى النّفوس حسن الخلق والرّفق، فقال: (**من أعطي الخلق والرّفق، فقد أعطي الخير كلّه، والرّاحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حُرم الرّفق والخلق كان ذلك له سبيلاً إلى كلِّ شرّ وبليّة إلاّ من عصمه الله -تعالى-**) (٨٦).

وحبّب إلى نفوس أصحابه الأدب وحسن السّيرة، فقال: (**ما استوى رجلان في حسب ودين قط إلاّ كان أفضلهما عند الله آدبهما**) (٨٧).

وروى -عليه السلام- عن الإمام علي -عليه السلام- قوله: (**إنّ من أعون الأخلاق على الدّين الزّهد في الدّنيا**) (٨٨).

وحثَّ -عليه السلام- على أداء العبادات المندوبة لكي تتجذّر في النّفوس وفي الإرادة؛ لأنّها تساعد على إصلاح النّفس وتزكيتها، وبيّن ثواب من عمل بها، واستمر على أدائها في جميع الظّروف والأحوال. وحثَّ على التمرّن على الأخلاق الفاضلة والخصائص الحميدة، فقال -عليه السلام-: " **عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة إلى من ائتمنكم عليها براً كان أو فاجراً، فلو أنّ قاتل عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- ائتمنني على أمانة لأديتها إليه**" (٨٩).

الإمام وعلاقته بالسّلطة

امتازت المرحلة الأولى من حياة الإمام -عليه السلام-، والتي كانت في ظلّ أبيه زين العابدين -عليه السلام-، بشدّة ظلم بني أميّة للناس.

بدأت ولاية الإمام الباقر -عليه السلام-، وإمامته الفعليّة في عهد الوليد بن عبد الملك، الذي أعقبه في الحكم عمر بن عبد العزيز، فمنع سبّ عليّ -عليه السلام- من على المنابر، وكان بنو أميّة قد اتّخذوها سنّة بأمر معاوية. ثمَّ جاء من بعده يزيد بن عبد الملك الذي انصرف إلى حياة التَّرف، واللهو، والمجون.

كانت علاقة الإمام -عليه السلام- بالخلفاء، علاقة رصد وتوجيه وإرشاد، كما كانت علاقة الإمام عليّ بن أبي طالب -عليه السلام- بخلفاء عصره.

وهكذا نجده يقدّم النّصح لعبد الملك بن مروان، الذي استشاره في مسألة نقود الرّوم

المتداولة بين المسلمين، والتي كانوا يضغطون من خلالها على الخلافة، ورواية ذلك أنّ مشاحنة وقعت بين عبد الملك وملك الرّوم، فهدّده ملك الرّوم، بأنّه سوف يضرب على الدّنانير عبارات يسبّ فيها رسول الله -صلى الله عليه وآله-، إذا هو لم يرضخ لأمره، ويلبّي طلباته. ضاق عبد الملك بهذا الأمر ذرعاً، ولم يدرِ ما يفعل، فأشار الإمام -عليه السلام- عليه بأن يضرب نقوداً إسلاميّة ما أدّى إلى تخليص المسلمين من التّبعيّة للروم، وأضحى لهم نقدهم الخاصّ.

شهادته -عليه السلام-

بتولّي هشام بن عبد الملك الحكم عاد الإرهاب والضّغط إلى الواجهة، وأدّت سياسة الملاحقة والتّنكيل إلى انتفاضة الشّهيد زيد بن عليّ السّجّاد -عليه السلام- الذي استشهد هو وأصحابه وأُحرقت جثّته...كما قام هشام بملاحقة تلامذة الإمام -عليه السلام-. ولكنّ هذه الإجراءات التعسّفيّة، لم تمنع من تنامي الصّحوة الإسلاميّة، والوعي الدّيني لدى النّاس، الأمر الذي زاد من مخاوف هشام بن عبد الملك، فأمر بدسّ السمّ له، فاستُشهد-سلام الله عليه- صابراً محتسباً مجاهداً وشهيداً.

الهوامش:

(١) المقدمة: ص٢٣٢-٢٣٣.

(٢) الأحكام في أصول الأحكام لابن جزم ج ٢ ص ١٢١.

(٣) راجع في ذلك طبقات ابن سعد ج ٥ ص ١٧٠ واليعقوبي ج ٢ ص ٣٥٨.

(٤) تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية: ص ٢٠٢.

(٥) حياة الإمام الباقر للقرشي: ج ٢ ص ٦٥ عن دلائل الإمامة ص ١٠٦.

(٦) سورة سبأ، الآية: ١٩.

(٧) الاحتجاج للطبرسي: ج٢ ص ٦٢ - ٦٣.

(٨) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٩) سورة طه، الآية: ٨١.

(١٠) روضة الواعظين: ج ١ ص ١٤٤.

(١١) حياة الإمام الباقر للقرشي: ج٢ ص٨٩.

(١٢) سورة النساء، الآية: ٣٥.

(١٣) روضة الواعظين: ج١ ص٢٤٥.

(١٤) شرح نهج البلاغة: ٨ / ١٢١.

(١٥) بحار الأنوار: ٢٥ / ٢٩٧.

(١٦) المصدر السابق: ٢٥ / ٢٩٧.

(١٧) المصدر السابق: ٢٥ / ٢٨٣.

(١٨) المصدر السابق: ٦٧: ١٠١.

(١٩) المصدر السابق: ٤٦ / ٢٩١.

(٢٠) بحار الأنوار: ٥ / ٢٩٨.

(٢١) المصدر السابق: ٣ / ٢٨٥.

(٢٢) المصدر السابق: ٣ / ٢٦٥.

(٢٣) المصدر السابق: ٣ / ٣٢٦.

(٢٤) المصدر السابق: ٦٩ / ٢٩٧.

(٢٥) بحار الأنوار: ٦٧ / ٢١١.

(٢٦) المصدر السابق: ٣ / ٢٦٤.

(٢٧) المصدر السابق: ٢ / ٢٩٨.

(٢٨) الخصال: ١ / ٢٦.

(٢٩) الكافي: ٢ / ٢٠٨.

(٣٠) المصدر السابق: ٢ / ١١٢.

(٣١) المصدر السابق: ٢ / ١٤٢.

(٣٢) المصدر السابق: ٢ / ٧٢.

(٣٣) الكافي: ١ / ٦٠.

(٣٤) المصدر السابق: ٢ / ١٨٨.

(٣٥) المصدر السابق: ٢ / ١٥٢.

(٣٦) المحاسن: ١٠٢.

(٣٧) الخصال: ١ / ٣١٧.

(٣٨) تحف العقول: ٢٢٠.

(٣٩) المصدر السابق: ٢١٧.

(٤٠) المصدر السابق: ٢٢٠.

(٤١) المصدر السابق: ٢١٣.

(٤٢) الخصال: ١ / ٢٢٣.

(٤٣) صفة الصفوة: ٢ / ١٠٩.

(٤٤) تحف العقول: ٢١٦.

(٤٥) المحاسن: ١٠٣.

(٤٦) المصدر السابق.

(٤٧) تحف العقول: ٢١٤.

(٤٨) الكافي: ١ / ٣٢.

(٤٩) حلية الأولياء: ٣ / ١٩٢.

(٥٠) المصدر السابق: ٣ / ١٨٣.

(٥١) تذكرة الخواص: ٣٠٤.

(٥٢) الكافي: ١ / ٧٠.

(٥٣) المصدر السابق: ١ / ٤٧.

(٥٤) الكافي: ١ / ٣٥.

(٥٥ و٥٦ و٥٧) المصدر السابق: ١ / ٤١.

(٥٨) المصدر السابق: ١ / ٥٠.

(٥٩) المصدر السابق: ١ / ٤٢.

(٦٠) الكافي: ١ / ٤٣.

(٦١) المصدر السابق: ١ / ٢٢٢.

(٦٢) المصدر السابق: ١ / ٢٢٨.

(٦٣) المصدر السابق: ١ / ٣٩٩ .

(٦٤) المحاسن: ٢١٣.

(٦٥) بحار الأنوار: ٤٦ / ٣٢٨.

(٦٦) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٧٩.

(٦٧) المصدر السابق: ٢٣ / ٨٣.

(٦٨) دور أهل البيت -عليهم السلام- في بناء الجماعة الصّالحة: ١ / ١٣٣ .

(٦٩) تحف العقول: ٢١٢، ٢١٣.

(٧٠) تحف العقول: ٢١٥.

(٧١) الكافي: ٢ / ٧٢ .

(٧٢) المحاسن: ٢٦٣.

(٧٣) الكافي: ٢ / ٣١١.

(٧٤) وسائل الشّيعة: ١٦ / ٥٩.

(٧٥) المصدر السابق: ١٦ / ٦٠.

(٧٦) الكافي: ٢ / ٣١٦ .

(٧٧) كشف الغمة: ٢ / ١٤٨.

(٧٨) تحف العقول: ٢١٨.

(٧٩) تفسير العياشي: ١ / ٦٨ .

(٨٠) تحف العقول: ٢١٧.

(٨١) الكافي: ٢ / ٢٤٥.

(٨٢) وسائل الشيعة: ١٦ / ٢٤.

(٨٣) الخصال: ١ / ١٥.

(٨٤) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٨٦ .

(٨٥) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٨٦.

(٨٦) حلية الأولياء: ٣ / ١٨٧ .

(٨٧) مختصر تاريخ دمشق: ٢٣ / ٨٥.

(٨٨) وسائل الشيعة: ١٦ / ١٢ .

(٨٩) بحار الأنوار: / ج ٧٥ / ص ١٧٩.

وآل البقيعا

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

اِنَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ اَقْلَقَها الْوَجْدُ

الشّيخ الأُزري -رضوان الله عليه-

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

الشّيخ الأُزري -رضوان الله عليه-

اِنَّ تِلْكَ الْقُلُوبَ اَقْلَقَها الْوَجْدُ ... وَاَدْمـى تِـلْـكَ الْـعُـيُـونَ بُكاها

كـانَ اَنْكَى الْخُطُوبِ لَمْ يُبْكِ مِنّي ... مُـقْـلَـةً لـكِـنِ الْهَـوى اَبْـكـاهـا

كُـلَّ يَـوْمٍ لِـلْـحـادِثـاتِ عَـواد ... لَيْسَ يَقْوى رَضْوى عَلى مُلْتَقاها

كَيْفَ يُرْجَى الْخَلاصُ مِنْهُنَّ إلاّ ... بِـذِمـامٍ مِـنْ سَـيِّـدِ الـرُّسْـلِ طه

مَعْقِلُ الْخائِفينَ مِنْ كُلِّ خَوْف ... اَوْفَـرُ الْـعُـرْبِ ذِمَّـةً اَوْفـاهـا

مَـصْـدَرُ الْـعِـلْـمِ لَـيْسَ إلاّ لَـدَيْـهِ ... خَـبَرُ الْـكـائِـنـاتِ مِـنْ مُـبْـتَـداها

فـاضَ لِلْخَلْقِ مِنْهُ عِلْمٌ وَحِلْمٌ ... اَخَـذَتْ مِـنْـهُـما الْـعُـقُـولُ نُـهاها

نَـوَّهَـتْ بِاسْمِهِ السَّماواتُ وَالاَرْ ... ضُ كَـما نَـوَّهَـتْ بِـصُـبْـحٍ ذُكـاها

وَغَـدَتْ تَـنْـشُرُ الْـفَـضـائِلَ عَنْهُ ... كُـلُّ قَـوْمٍ عَـلَى اخْـتِـلافِ لُغاها

طَرِبَتْ لِاسْمِهِ الثَّرى فَاسْتَطالَتْ ... فَـوْقَ عُـلْـوِيَّـةِ الـسَّـما سُـفْـلاها

جـازَ مِـنْ جَـوْهَـرِ الـتَّـقَـدُّسِ ذاتاً ... تـاهَـتِ الأَنْـبِـيـاءُ في مَـعْـناها

لا تُجِلْ في صِفاتِ اَحْمَدَ فِكْراً ... فَـهِـيَ الـصُّـورَةُ الَّـتي لَـنْ تَـراها

أَيُّ خَلْقِ اللهِ أَعْظَمُ مِنْهُ ... وَهُوَ الْغايَةُ الَّتِي اسْتَقْصاها

قَلَّبَ الْخافِقَيْنِ ظَهْراً لِبَطْنٍ ... فَرَآى ذاتَ أَحْمَدٍ فَاجْتَباها

لَسْتُ أَنْسى لَهُ مَنازِلَ قُدْسٍ ... قَدْ بَناها التُّقى فَأَعْلا بِناها

وَرِجالاً أَعِزَّةً فِي بُيُوتٍ ... أَذِنَ اللهُ أَنْ يُعَزَّ حِماها

سادَةٌ لا تُرِيدُ إِلاّ رِضَى اللهِ ... كَما لا يُرِيدُ إِلاّ رِضاها

خَصَّها مِنْ كَمالِهِ بِالْمَعانِي ... وَبِأَعْلى أَسْمائِهِ سَمّاها

لَمْ يَكُونُوا لِلْعَرْشِ إِلاّ كُنُوزاً ... خافِياتٍ سُبْحانَ مَنْ أَبْداها

كَمْ لَهُمْ أَلْسُنٌ عَنِ اللهِ تُنْبِي ... هِيَ أَقْلامُ حِكْمَةٍ قَدْ بَراها

وَهُمُ الأَعْيُنُ الصَّحِيحاتُ تَهْدِي ... كُلَّ عَيْنٍ مَكْفُوفَةٍ عَيْناها

عُلَماءٌ أَئِمَّةٌ حُكَماءٌ ... يَهْتَدِي النَّجْمُ بِاتِّباعِ هُداها

قادَةٌ عِلْمُهُمْ وَرَأْيُ حِجاهُمْ ... مَسْمَعاً كُلِّ حِكْمَةٍ مَنْظَراها

ما أُبالِي وَلَوْ أُهِيلَتْ عَلَى الأَرْ ... ضِ السَّماواتُ بَعْدَ نَيْلِ وِلاها

البقيع

زِيارَة أَئمَّة البَقيع -عَلَيهِم السَّلام-

صدى البقيع ١٤٣٦هـ .٢٠١٥م

إذا أردت زيارتهم فاعمل بآداب الزّيارة من الغسل والكون على الطّهارة ولبس الثّياب الطّاهرة النّظيفة والتّطيّب والاستئذان للدّخول ونحو ذلك وقُل أيضاً:

يا مَوالِيَّ يا اَبْناءَ رَسُولِ الله، عَبْدُكُمْ وَابْنُ اَمَتِكُمُ الذَّليلُ بَيْنَ اَيْديكُمْ، وَالْمُضْعِفُ في عُلُوِّ قَدْرِكُمْ، وَالْمُعْتَرِفُ بِحَقِّكُمْ، جاءَكُمْ مُسْتَجيراً بِكُمْ، قاصداً اِلى حَرَمِكُمْ، مُتَقَرِّباً اِلى مَقامِكُمْ، مُتَوَسِّلاً اِلَى الله تَعالى بِكُمْ، أَدْخُلُ يا مَوالِيَّ، أَدْخُلُ يا اَوْلِياءَ الله، أَدْخُلُ يا مَلائِكَةَ الله الْمُحْدِقينَ بِهذَا الْحَرَمِ الْمُقيمينَ بِهذَا الْمَشْهَدِ .

وادخل بعد الخشوع والخضوع ورقّة القلب وقدّم رجلك اليمنى وقُل:

اَللهُ اَكْبَرُ كَبيراً، وَالْحَمْدُ لله كَثيراً، وَسُبْحانَ الله بُكْرَةً وَاَصيلاً، وَالْحَمْدُ لله الْفَرْدِ الصَّمَدِ الْماجِدِ الاَحَدِ الْمُتَفَضِّلِ الْمَنّانِ، الْمُتَطَوِّلِ الْحَنّانِ الَّذي مَنَّ بِطَوْلِهِ، وَسَهَّلَ زِيارَةَ ساداتي بِاِحْسانِهِ، وَلَمْ يَجْعَلْني عَنْ زِيارَتِهِمْ مَمْنُوعاً بَلْ تَطَوَّلَ وَمَنَحَ .

ثمّ اقترب من قبورهم المقدّسة واستقبلها واستدبر القبلة وقُل:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَئِمَّةَ الْهُدى، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ التَّقْوى، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَيُّهَا الْحُجَجُ على اَهْلِ الدُّنْيا، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَيُّهَا الْقُوّامُ في الْبَرِيَّةِ بِالْقِسْطِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ الصَّفْوَةِ، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ آلَ رَسُولِ الله، اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَهْلَ النَّجْوى، اَشْهَدُ اَنَّكُمْ قَدْ بَلَّغْتُمْ وَنَصَحْتُمْ وَصَبَرْتُمْ في ذاتِ الله، وَكُذِّبْتُمْ وَاُسيءَ اِلَيْكُمْ فَغَفَرْتُمْ، وَاَشْهَدُ اَنَّكُمُ الاَئِمَّةُ الرّاشِدُونَ الْمُهْتَدُونَ، وَاَنَّ طاعَتَكُمْ مَفْرُوضَةٌ، وَاَنَّ قَوْلَكُمُ الصِّدْقُ، وَاَنَّكُمْ دَعَوْتُمْ فَلَمْ تُجابُوا، وَاَمَرْتُمْ فَلَمْ تُطاعُوا، وَاَنَّكُمْ دَعائِمُ الدّينِ وَاَرْكانُ الاَرْضِ، لَمْ تَزالُوا بِعَيْنِ الله يَنْسَخُكُمْ مِنْ اَصْلابِ كُلِّ مُطَهَّرٍ، وَيَنْقُلُكُمْ مِنْ اَرْحامِ الْمُطَهَّراتِ، لَمْ تُدَنِّسْكُمُ الْجاهِلِيَّةُ الْجَهْلاءُ، وَلَمْ تَشْرَكْ فيكُمْ فِتَنُ الاَهْواءِ، طِبْتُمْ وَطابَ مَنْبَتُكُمْ، مَنَّ بِكُمْ عَلَيْنا دَيّانُ الدّينِ، فَجَعَلَكُمْ في بُيُوتٍ اَذِنَ اللهُ اَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ، وَجَعَلَ صَلاتَنا عَلَيْكُمْ رَحْمَةً لَنا وَكَفّارَةً لِذُنُوبِنا، اِذِ اخْتارَكُمُ اللهُ لَنا، وَطَيَّبَ خَلْقَنا بِما مَنَّ عَلَيْنا مِنْ وِلايَتِكُمْ، وَكُنّا عِنْدَهُ مُسَمَّينَ بِعِلْمِكُمْ، مُعْتَرِفينَ بِتَصْديقِنا اِيّاكُمْ، وَهذا مَقامُ مَنْ اَسْرَفَ وَاَخْطَاَ وَاسْتَكانَ وَاَقَرَّ بِما جَنى وَرَجا بِمَقامِهِ الْخَلاصَ، وَاَنْ يَسْتَنْقِذَهُ بِكُمْ مُسْتَنْقِذُ الْهَلْكى مِنَ الرَّدى، فَكُونُوا لي شُفَعاءَ، فَقَدْ وَفَدْتُ اِلَيْكُمْ اِذْ رَغِبَ عَنْكُمْ اَهْلُ الدُّنْيا، وَاتَّخَذُوا آياتِ الله هُزُواً وَاسْتَكْبَرُوا

عَنْها (ثم ارفع رأسك الى السماء وقل): يا مَنْ هُوَ قائِمٌ لا يَسْهُو، وَدائِمٌ لا يَلْهُو، وَمُحيطٌ بِكُلِّ شَيءٍ لَكَ الْمَنُّ بِما وَفَّقْتَني وَعَرَّفْتَني بِما اَقَمْتَني عَلَيْه، اِذْ صَدَّ عَنْهُ عِبادُكَ، وَجَهِلُوا مَعْرِفَتَهُ، وَاسْتَخَفُّوا بِحَقِّه، وَمالُوا الى سِواهُ، فَكانَتِ الْمِنَّةُ مِنْكَ عَلَيَّ مَعَ اَقْوامٍ خَصَصْتَهُمْ بِما خَصَصْتَني بِه، فَلَكَ الْحَمْدُ اِذْ كُنْتُ عِنْدَكَ في مَقامي هذا مَذْكُوراً مَكْتُوباً، فَلا تَحْرِمْني ما رَجَوْتُ، وَلا تُخَيِّبْني فيما دَعَوْتُ، بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطّاهِرينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّد .

ثمّ ادعُ لنفسك بما تُريد، وقال الطّوسي (رحمه الله) في التّهذيب: ثمّ صلّ صلاة الزّيارة ثمان ركعات أي صلّ لكلّ إمام ركعتين .

وقال الشّيخ الطّوسي والسّيد ابن طاووس: إذا أردت أن تودّعهم -عليهم السلام- فقُل:

اَلسَّلامُ عَلَيْكُمْ اَئِمَّةَ الْهُدى وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكاتُهُ، اَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ وَاَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلامَ، آمَنّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ، وَبِما جِئْتُمْ بِهِ وَدَلَلْتُمْ عَلَيْه، اَللّهُمَّ فَاكْتُبْنا مَعَ الشّاهِدينَ .

يا عميد

يا كفيل

السلام عليك يا ساقي عطاشى كربلاء

السلام عليك أيها العبد الصالح